الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique
Université Ain Témouchent Belhadj Bouchaib
Facultés des Lettres et Langues et Science Sociales
Département langue et lettre arabe

الحجاج البلاغي في نماذج من الحديث النبوي الشريف

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر
تخصص: لسانيات الخطاب

من إعداد الطالبين
تحت إشراف الأستاذ(ة):
1- نسرين سي علي
أ .
مصطفاوي جلال
2-. شهرزاد موسى بن ياسين

اللجنة المناقشة المكونة من الأعضاء الآتي ذكرهم:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
بوسغادي حبيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	**رئيسا**
مصطفاوي جلال	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	**مشرفا، مقررا**
محمد نجيب مغني صنديد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة عين تموشنت	**ممتحنا**

السنة الجامعية:
2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

الحمد و الشكر الله أولا و قبل كل شيء صاحب النعمة المسداة الذي رزقنا التوفيق و السداد ووفقنا بقدره على إتمام هذا البحث المتواضع، و الصلاة و السلام على رسوله الكريم، و اله وصحبه أجمعين.

نتقدم بأسمى عبارات الشكر و التقدير لأستاذي المشرف المحترم الذي سعدنا و تشرفنا بإشرافه الأستاذ الدكتور مصطفاوي جلال، لما قدمه لنا و لكل طلبتة الباحثين من إرشادات قيمة و توجيهات سديدة، و توصيات دقيقة، فجزاه الله عنا خير الجزاء

كما نتقدم بالشكر للأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا بالموافقة على مناقشة هذا العمل، كما نتقدم بالشكر الخاص للأستاذ و الدكتور مغني صنديد محمد نجيب الذي لم يبخل علينا بالمعلومات و النصائح الهادفة والقيمة، إلى من قدم لنا يد المساعدة محمد لشلاش، نسال الله لهما دوام الصحة و العافية

إهداء

إلى الذي زرع في نفسي بذور الشموخ و الكبرياء و علمني كيف أواجه المصاعب، عنوان الصمود و رمز الكفاح و التضحية، إلى الذي لولاه لما وصلت إلى ما انأ عليه ألان، إلى أبي الكريم "سعيد" رحمه الله برحمته الواسعة.

إلى التي بذرت وبقدره الله صانتها و بعطف منهارا عتها غير أن القدر لم يمهلها أن تسعد بها و تراها إلى أمي الحبيبة " فتيحة" تغمدها الله برحمته وواسع فضله ووجوده.

إلى من قاسمني الأعباء و أعانني على تذليل الصعاب زوجي العزيز " يوسف" رفيق دربي.

إلى إخوة وقرة عيني "جميلة" و كتكوتا " تائب"، "عبد القادر" و كتكوته "رسيم" "فاطمة الزهراء" وصغيرتها إياد و محمد " محمد".

إلى كل أفراد عائلة زوجي.

إلى جدتي العزيزة و الحنونة رحمها الله.

إلى اشقائى و أهليهم و أبنائهم.

إلى التي لم اشهد منها إلا خيرا صديقتي "سي علي نسرين"

إلى كل أخت و صديقة أخلصت المحبة و صدقت الخلان إلى كل من رافقني بقلبه، بدعواته، بشجاعته طوال فترة البحث.

إلى كل صديقاتي في الدراسة و خارج الدراسة.

إلى كل عائلة موسي بن ياسين وبن سايح.

**شهرزاد **

الإهداء

إذا كان الإهداء و لو بجزء من الوفاء، فالإهداء لمعلم البشرية و منبع نبينا محمد ﷺ أما بعد:

الحمد الله رب العالمين اهدي تحياتي إلى الوالدين: أمي الغالية وأبي لغالي.

إلى التي حملتني ووضعتني و إلى التي يشتهي اللسان نطقها و تكرارها

لترقرق العين لوحشتها و تخشع لذكراها و يرتجف كيدها كلما ابتعدت عني

إلى التي عانت من اجلي و انتظرت عملي هذا بفارغ الصبر

أمي الغالية العزيزة مع تمنياتي لها الشفاء و تبقي تاجا فوق رؤوسنا

من ذا الذي دون الجفون رعاني شق الدجى الليل لأجلي و هذا رجائي

نبع الحنان من الروض مدرستي أعظم نعمة بعد إيماني

أبي الغالي.

اللهم أحفظهما لنا و أرضهم عنا

واهدي أيضا إلى إخوتي (ابتسام، أسماء، محمد) والى براعم العائلة (مريم، إسلام، رونق، عبد الرحمان) و أتمني لسبأ النجاح في حياتهم

مع تحياتي لكل الأهل و الأصدقاء خصوصا الصديقة عمار عياد جميلة و كل من اعنني ولم يبخل علي بأي معلومة من بعيد أو قريب مع تمنياتي النجاح لجميع الزميلات و الصديقات في دفعة اللغة كما لا أنسى أن أتوجه بعملي هذا و الشكر الجزيل الأستاذ الدكتور الذي ساعدنا بعملنا و تقبلنا بصدر رحب مغني صنديد محمد نجيب ووجهنا بتعليمات .

كما اهدي ثمرة جهدي لأستاذي الكريم الدكتور مصطفاوي جلال الذي كلما تظلمت الطريق أمامي لجا تاليه فأنار لي وكلما دب الياس في نفسي زرع فيا الأمل وكلما سالت عن معرفة زودني بها و كلما طلبت كمية من وقته الثمين ووفره لي بالرغم من مسؤولياته المتعددة إلى صديقتي "موسى بن ياسين شهرزاد" التي رافقتني في مشوارنا الدراسي لتثمين هذه الخطوة بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد و النجاح مع تمنياتي لها بالتوفيق و السعادة في حياتها الزوجية.

نسرين

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بلسان عربي مبين و ختم به الكتب و جعله الكتاب المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و الصلاة والسلام على أفصح الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم وعلى آله و صحبه أجمعين،أما بعد:

الحجاج حقيقة تواصلية راسخة يسعى فيها المخاطب لإقناع المتلقين بفكرة معيّنة أو زيادة قناعتهم بها،أوردّهم على اعتقاد معيّن مرتكزا في ذلك على مجموعة من التقنيات و نجد الحجاج يلاحق كلّ خطاب ، و يأخذ من كل معرفة هذا ما جعل منه مبحثا من مباحث اللسانيات و البلاغة و الفلسفة و تعدّ علاقة الحجاج بالخطاب الديني علاقة متلازمة بالنظر إلى التحديات التي تواجه الرسالات السماوية و ما تلاقيه من رفض و المقاومة، فكان لزاما على المرسلين الإفادة من الحجج العقلية و اللاّعقلية (المعجزات) لإقناع الناس على اختلاف طبقاتهم بالإيمان بما يدعونهم إليه، و لما كان الإسلام آخر الدّيانات، والنبي محمد (ﷺ) خاتم الرسل و الأنبياء كانت رسالته عالمية و معجزته مستمرة خالدة إلى يوم القيامة ، فكانت حجته القرآن الكريم بما احتواه من إعجاز علمي و بياني في نظمه ومضمونه و مقاصده .

و هذا يعكس قدرة اللغة و ما يمكن أن تحدثه في النفوس ، في مختلف المقامات التواصلية ، و لاسيما في مواطن الحجاج ، هذه اللغة التي ألهمت الأدباء و الشعراء و الخطباء و الدعاة و السياسيين و غيرهم في إبداع أجمل الخطابات و أكثرها وقعا و تأثيرا على المتلقين .فراح كل منهم ينظم على شاكلته مستغلا الإمكانات والطاقات الكامنة لها ، من ألفاظ و دلالات و استدلالات ، و مجازات و تشبيهات ، معولا في ذلك على ما تحققه تلك الصور البيانية و الاستدلالات البلاغية.

وفق هذا المنظور يستقي موضوع بلاغة الحجاج أهميته و حضوره في الدراسات اللغوية الحديثة ، حيث صارت دراسة التقنيات التي تؤدي إلى الإقناع مطلبا ضروريا في شتى التخصصات اللغوية و الأدبية و المعرفية.

لذلك بادرنا إلى دراسة كلام النبي " ﷺ " باعتباره أعظم خطاب بشري و أعلى الخطابات منزلة و شرفا و حسنا ، و أغناها فائدة لأنّ الحديث النبوي له أهداف مقدسة ترتقي بمن يريد الارتقاء ، و تُقيم الحجة على المعاند ، فإذا سلما بأن اللغة طاقة حجاجية كامنة ، تمتلكها البنيات و الآليات والأساليب اللغوية و المنطقية ، فكيف إذا اقترنت هذه المكوّنات بالمكوّن البلاغي الأكثر جمالا و أناقة ، و هو البيان فذلك يجعل الخطاب حاملا لشحنة دلالية استدلالية ، و أخرى جمالية عاطفية ، و الحديث النبوي غني بالصور البيانية البديعة. من تشبيه و تمثيل و استعارات لطيفة و كنايات عميقة، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن غايته جمالية محضة(الإمتاع)، بل سنحاول من خلال دراستنا هذه أن نكشف عن الجانب

العقلي المنطقي الحجاجي في الخطاب النبوي(الإقناع).وتحمل دراستنا هذه عنوان:"**الحجاج البلاغي في الحديث النبوي الشريف**" .

وسنحاول من خلال هذا العنوان أن نجيب عن تساؤلات جوهرية، وهي:

-ما المقصود بالحجاج البلاغي ، وكيف تجلى في الحديث ؟

- هل يمكن للخطاب النبوي أن يكون قادرا على الإقناع و الإمتاع في الوقت ذاته ، بعيدا عن البنيات المنطقية الصارمة ؟ .

هذه هي التساؤلات التي شكلت الإطار العام الذي حددت من خلاله معالم البحث و التحليل .

وقد دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب منها ما هو ذاتي، ومنها ما هو موضوعي،أما عن الأسباب الذاتية فهي:

- ارتأينا في هذه الدراسة أن نتناول هذا المستوى البياني الرفيع للوقوف على مدى مساهمته في خدمة الدعوة النبويّة و إقناع الآخر . باعتبار البيان أحد الآليات الجمالية التي تستهوي المتلقي و تنير العقل لتأملها وتقليب النظر فيها .
- ميلنا إلى دراسة كتاب الله و الحديث النبوي .
- إيماننا بوجود شحنة حجاجية في الخطابات النبوية .
- أما عن الأسباب الموضوعية فتتلخص في:
- أن موضوع الحجاج من المواضيع الجديدة و هي وخر حلقة في الدّرس التداولي .
- محاولة الكشف عن حجاجية التصوير البياني في الحديث النبوي .
- كشف الجوانب الأخرى للبلاغة ، و هي التأثير و الإقناع ضمن أحاديث النبي " ﷺ "
- دراسة الأحاديث النبوية ، ومقاربتها بمناهج جديدة و أطروحات جديدة .
- قلة الدراسات التي تناولت الحديث النبوي من الزاوية الحجاجيّة .
- المساهمة ولو بجهد بسيط في تعزيز جهود الدارسين في مجال بلاغة الحجاج في الخطاب الديني .

لهذه الأسباب مجتمعة أثرنا دراسة بلاغة الحجاج في الحديث النبوي .

- و من خلال الاستعانة بأدوات منهج الدراسة حاولنا الإجابة عن إشكالية البحث المطروحة والتساؤلات المتعلقة بها ، من خلال الخطة التالية :مدخل وفصلان وخاتمة.

تحدثنا في المدخل عن إشكالية العلاقة بين الحجاج و البلاغة،حيث هناك من يرى بأن الحجاج جزء من البلاغة وهناك منيرى غير ذلك. و خصصنا الفصل الأول الذي عنوناه بـــــــــ:"نظرية الحجاج" للحديث عن مفهوم النظرية وظروف نشأتها(خاصة مع شايم بيرلمان) واتجاهاتها الأساس،اللسانية والمنطقية والبلاغية، كما تطرقنا أيضا إلى أساليب الحجاج في التراث البلاغي العربي .

أما الفصل الثاني فكان بعنوان: " حجاجية الأساليب البلاغية (البيانية و البديعية) في الأحاديث النبوية". درسنا فيه حجاجية الصور البيانية مع إبراز دور المكون الجمالي في التأثير و حث المتلقي على إكمال الفكرة باستنباط العلاقات التي جمعت الحقيقة بانجاز و الواقع بالمتخيل ، مع تصنيف كل تقنية حجاجية حسب تصنيف بيرلمان Perelman و تيتيكا البلجيكية teytca ،والإشارة إلى الشحنة الحجاجية التي تمتعت بها لغة الخطاب النبوي .

وفي الأخير الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث في قسميه النظري والتطبيقي .

- و من بين أهم المؤلفات التي استند عليها البحث : فتح الباري يشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، كتب البلاغة و التداولية و الحجاج منها كتاب " الخطاب و الحجاج " و كتاب البلاغة الجديدة لشايم بيرلمان .

- إنّ الإشكالية التي يتمحور حولها هذا البحث تختص بالأساليب و الخصائص و الآليات المعتمدة في الحديث النبوي الشريف ، و التي مكنته من إقناع المخاطبين بصدق دعوة الإسلام ، و الانتهاء عن نواهيه ، و لعل هذا ما يبرر التركيز على حجاجية الأساليب البلاغية و أبعادها الجمالية والإقناعية .
- كما اقتضى موضوع البحث الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي ، متكئا على آليات المقاربة التداولية في تحليل الأحاديث النبوية ، باعتبارها البوابة التي يلج الدارس من خلالها إلى عمق القضايا المطروحة فهي تجمع في التحليل بين الخطابات و قائليها ، و متلقيها و مقاصدها و ملابستها في مقام التواصل ،إيمانا بالعلاقة اللزومية التي تجمع هذه العناصر ، و غيرها من العلاقات و القوانين الداخلية التي تحكمه لتكشف لنا منطق اللغة في مقام التواصل .

- و من الصعوبات التي اعترضتنا في إنجاز هذا البحث نذكر ما يلي :

- قلة الدراسات التي تناولت حجاجية الأحاديث النبوية .
- صعوبة الحصول على المراجع ذات الصلة بالموضوع ، لقلتها ، بل و ندرتها في مكتباتنا الجامعية و الخاصة مما ضيّع الكثير من عمر البحث .

- التداخل في استعمال بعض المصطلحات كالحجاج و الإقناع و التأثير و الاستمالة عند بعض الدارسين.
- محاولة التدقيق في روايات الحديث الواحد ، و الاعتماد بالدرجة الأولى على الصحيحين .
- غير أنّه لا بدّ من الإقرار في هذا السياق أنّ البحث في موضوع بلاغة الحجاج في الحديث النبوي ، لم يكن بالأمر السهل و لا الهيّن و ذلك لخصوصية الخطاب في حدّ ذاته ، فهو ليس بالخطاب الأدبي و لا الخطاب السياسي أو الإعلامي ، بل هو خطاب النبي الله محمد صلّى الله عليه وسلم .

فقد حاولنا جاهدين الاستعانة بشروح الأحاديث عند أكثر من محدث للوقوف على أصح الروايات وأدق المعاني ، و من جهة أخرى التركيز على دراسته بمقاربات غربية تمثلت في تطبيق المنهجية في تحليل المكون البلاغي و وظيفته في الإقناع ، مما استدعى المزيد من التدقيق في جوانبها الإجرائية .

وفي الختام يقتضينا الوفاء والإنصاف أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا في إتمام هذا البحث،من قريب أو من بعيد،ونخص بالذكر الأستاذ المشرف ،والشكر موصول للأساتذة المناقشين ولكل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب...وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سي علي نسرين

موسى بن ياسين شهرزارد

بني صاف في يوم : 2022/6/3م

مدخل:

العلاقة بين الحجاج والبلاغة

مازالت العلاقة بين البلاغة والحجاج ملتبسة، والحدود متحركة، تثير الإختلاف بين الباحثين وفق المواقع التي يتفقون فيها، والجهات التي ينظرون منها، هل الحجاج مبحث بلاغي، كما نرى نحن، أم أنه مبحث مستقل قائم الذات، أم هو تابع لمبحث آخر غير البلاغة (اللسانيات او المنطق)؟ ام أن هناك أنواعا متباينة من الحجاج: حجاج بلاغي وآخر منطقي وثالث لساني؟

لابد إذن من تحديد ما نقصده بالبلاغة، وما نقصده بالحجاج في الإستعمال الحديث ليظهر مدى التداخل أو التخارج بينهما. فقبل هذا لا تحديد لا معنى لطرح الإختلاف أو الاتفاق بين كيانين لم ترسم حدودها.

يقول " اوليفي روبل" في مثل هذا السياق «من الطبيعي أن كل شيء رهين بالرهين بالتعريف، فماذا نعني بالحجاج، وماذا نعنى بالبلاغة؟ يجب أن يعطي الكلمتين معنى دقيقا لكي نستطيع حلّ مشكل العلاقة بينهما، بل إن ذلك ضروري لوجود المشكل من أساسه».[1]

- **تعريف البلاغة:**

وردت لفظة بليغ في القرآن الكريم في قوله تعالى«أولئكَ الذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فأَعْرِضْ عنهمْ وعظهمْ وقل لهم في أنفسهم قَوْلاً بَلِيغًا»[2] بمعنى مؤثرًا، والكلام البليغ المؤثر في الإنسان العربي آنذاك هو الذي يجمع بين عدة أمور سنكتشفها من خلال مصنفات البلاغيين وعلماء اللغة.

جاء في لسان العرب لابن منظور: "بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وإنتهى وأبلغه هو إبلاغا وبلّغه تبليغا.... والبلاغة: الفصاحة، والبلغو البلغ: البليغ من الرجال...ورجل بليغ حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة

[1] د. محمد الهري، البلاغة والحجاج ابلاغة الحجاج، مجلة عالم الفكر، المجلس العربي، وحدة الإنتاج في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 40، ع 420/2/4، ص 263_264.
[2] سورة النساء، الآية 63.

لسانه كنه ما في قلبه والجمع بلغاء" [1] ففي اللغة تعني البلاغة الإنتهاءوالوصول إلى الغاية، وقد إستعملت مرادفا للفصاحة غير اننا لا يمكن أن نقول عن رجل فصيح ولكن نقول عنه بليغ...

عرفها أبو هلال العسكري بقوله البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها و ّبلغتها غيري ومبلغ الشيء منتهاه والمبالغة في الشيء الإنتهاء إلى غايته فسميت البلاغة بلاغة، لأنها تنمي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه[2].

كما حدد علي بن أبي طالب رضي الله عنه مفهوم البلاغة من خلال تحديد وظيفتها في الخطاب بقوله: البلاغة إيضاح الملتبسات، وكشف عوّار الجهالات، بأسهل ما يكون من العبارات[3]، فالبلاغة مختصرة في تفسير ما غمض من الكلام بأسهل أسلوب وأبسط عبارة.

ففي المجال العربي وضع كثير من النقط على كثير من الحروف، ذلك أن مفهومي " بلاغة وحجاج" عرفا تطورا كبيرا في الدراسات الحديثة في حوار نقدي مع البلاغة القديمة الخصبة، تطورا ظللنا بعيدين عنه بالمسافة نفسها التي تفصل بيننا وبين التقدم العلمي في كل المجالات، ولذلك يقتضي الأمر أن نعيد التذكير ببعض الأوليات، ونقدم بعض البيانات التي تسمو عندنا إلى مستوى البديهيات والمسلمات، أول ذلك ترجمة كلمة ريطوريك Rhétoric،Rhétorique (اوريطوريكي اليونانية) إلى العربية. فهناك من الباحثين العرب المحدثين من إستعمل كلمة "خطابة" مقابلا لها (وهم الأقل)، وهناك من إستعمل كلمة بلاغة (وهم الأكثر.

---

[1] إبن منظور، لسان العرب، مج 8، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، مادة (ب،ل.غ)، ص 499_500.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق على محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 2006، ص 13.

[3] مصدر نفسه، ص 50.

وهناك من ظل مترددا بينهما، يستعمل هذه أو تلك وفق السياق، وهو الأقرب إلى معاناة المشكل، وهناك من وقف عند حدود الحيرة ويورد إحداهما مطلقة والثانية بين قوسين، تاركا للقارىء أن يرجح ما يراه مناسبا.

الذين إستعملوا كلنة خطابة راعوا في ذلك المعنى الارسطي للكلمة، والسياق الخطابي الحجاجي الذي يؤطرها، ولكنهم تجاهلوا كون أرسطو لم يستعمل الكلمة المفردة بل مضافا إليها: فن الخطابة.

فمن الإضافة تبين أن المقصود هو " التقنية" أو " الصناعة" إو " الفن" وفق ما يلائم كلمة Tékhné" وليس موضوع هذه التقنية الذي هو القول الذي يطلب التصديق (الخطابة). وذلك كان المترجمون العرب القدماء أدقّ إختبارًا، وأكثر توفيقا، حين ترجموها: فن الخطابة، وترجموا نظيرتها[1]:

فن الشعر إذا المقصود هنا أيضا ليس الشعر، ولكنطريقة معالجته أي الفن، أما الذين إستعملوا اللفظ بلاغة فقد نظروا إلى المعنى الذي تبلور للكلمة في العصر الحديث بعد أن إسترجعت بعدها الخطابي التداولي وتطورت بعدها التخييلي الشعري، وصارت تسترجع ما أخد منها تحث أسماء إعتبرت نفسها وريثا شرعيا للبلاغة، متل الأسلوبية وعلم الخطاب وسيميائيات...إلخ، حيث صرنا أمام ريطورية عامة (علم الخطاب) وريطوريات خاصة[2].

تعريف الحجاج:

جاء في لسان العرب: حاجَجْتُه، أحاجّه، حجاجا ومحاجة، حتى حَجَجْته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها.

---

[1] د. محمد الهري، البلاغة والحجاج البلاغة الحجاج، ص 264.

[2] المرجع نفسه، ص 264.

والمحجة: الطريق، وقيل جاءه الطريق.

والحجّة: البرهان وقيل الحجة ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل والتحاج، التخاصم، وجمع الحجة حجج وجاج.

والحجة الدليل والبرهان يقال حاجَجْتُه فأنا محجاج وحجيج، فعيل بمعنى فاعل[1].

وفي حديث الدّجال: إن يخْرج وأنا فيكم حجيجه دونكم أي محاجه ومغالبه بإظهار لحجة عليه[2].

وكلمة الحجاج هي بحكم صيغتها الصرفية الدالة على المعنى المشاركة في تقديم الحجج والبراهين و على مقابلة الحجة بالحجة[3] فالمحاججة شكل لغوي و مضمون معرفي، تلتقي فيه أبعاد كثيرة و مضامين متعددة بغية الوصول إلى طرح قضية محل إختلاف و يبدو الصواب مطلب الطرفين، لذلك جاء في تعريف كريستيان بلانتان Christiane ترجمة نصيرة الغماري أن المحاجة وجه معرفي، أن تحاجج يعني أن تمارس فكرا صائبا بواسطة الإجراء التحليلي والائتلافي نبني مادة ثم نطرح قضية للنقد، إننا نفكر و نفسر ونبرهن بواسطة الحجج و العلل والدلائل، كما نقدم الدوافع و بهذا تكون خلاصة المحاججة اكتشافا، حيث تنتج إبداعا أو لاشيء اقل من المعرفة [4].

يقول اوليفي روبل: اعتقد أن هناك اجتماعا في أيامنا هذه، على تعريف الحجاج عن طريق معارضته بالبرهنة. وإلا لما كان هناك مشكل قد يكون عندنا حينئذ، برهنة من نمط منطقي،رياضي، من دون أي علاقة مع البلاغة، من جهة، وقد يكون هناك من جهة ثانية تهيج سيكولوجي ذو علاقة أكيدة بالبلاغة ولكنه غير ذي علاقة بالحجاج. وفي مقابل ذلك فإذا

---

[1] إبن منظور، لسان العرب، مج 4، مادة (ح،ج.ج)، ص 38.

[2] المرجع نفسه، ص38.

[3] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، لبنان، ط2، سنة 2007، ص 9.
[4] كريستيان بلانتان، لغة المحاججة واللغة الواصفة، مقال، ترجمة نصيرة الغماري، ص 2.

ما رأينا في الحجاج خطابا عقليا يهدف إلى الإقناع من دون أن تكون له الصرامة الشكلية التي تتمتع بها البرهنة، فحينئذ سيطرح مشكل علاقته مع البلاغة [1].

على الرغم من حديث روبول عن الإجماع فإن هذا التعريف ينصرف إلى إستعمال المناطقة للحجاج. والواقع يشهد بأن اللفظ argumentationاستعمل أيضا من طرف اللسانيين بمعني آخر مغاير لما ذكر، لقد إستعمل فعلا من طرف التداوليين اللسانيين في البحث عن الفعالية الدلالية للكلام، ا الحوارية السياقية التي أهملها البحث اللساني الحديث حين حصر موضوعه في البنية الداخلية للغة. فالتداوليون المناطقة لجأوا إلى الحجاج لسد الفراغ الذي تركه البحث اللساني المحايث، أو البتيوي الداخلي للغة بإعتبارها نسقا منغلقا على نفسه، وكلاهما وجد نفسه يخوض في قضايا الخطاب التي عالجتها البلاغة القديمة من زوايا متعددة. وقد تنبه البلاغيون المحدثون بشكل متأخر، إلى أن ما يدعوه الطرفان (المنطقي واللساني) حجاجا يندرج في هموم البلاغة، طواه النسيان في ركن من أركانها طوال عصور الإنحطاط أو صار منبتا خارج النسق. بل يجب الاعتراف بان المناطقة واللسانيين هم الذين نبهوا البلاغيين إلى أن مادة الحجاج توجد في ثراتهم البلاغي. إن إجتهاد التداوليين اللسانيين، وما طرأ على أعمالهم من تطورات، فإن عملهم ينصرف إلى البحث في الدلالات السياقية والمفهومة للكلام، يمتد من المعاني المجازية المترتبة عن خروج الكلام عن ظاهر لفظه، في الخبر والإنشاء إلى الحد الأدنى من للمعنى السياقى المنجلى في بأن ما من كلام إلا ومعناه مرتبط بسياق ما، فقوانا مثلا: الجو جميل.

يحمل معنى سياقيا، أو مقتضى أعلى وآخر أدنى، المعنى السياقي الأعلى قد يكون إذن يمكن الخروج في نزهة، هذا إذا كان الجو جميلا فعلا، أما إذا كان بخلاف ذلك، مكفهرا أو ممطرا، فسيكون سخرية من شخص إدعى بالأمس أن الجو سيكون جميلا. أما إذا لم يكن لا

[1] د. محمد الهري، البلاغة والحجاج ، ص269.

هذا ولا ذلك فسيقال حينئذ بأن السياق يكمن في كون هذا الكلام قيل في مكان معين وزمن معين، فهو محدود بزمنه ومكانه وليس مطلقا [1].

أما في التداوليات المنطقية مهما إختلفت تعريفات الحجاج فإنها تحيل على أرسطو وتسلمهم أكابر قرائه قبل أن تجري التعديلات الضرورية على نموذجه.

العلاقة بين البلاغة والحجاج:

يتبين من التعريفين السابقين أن الحجاج في المفهوم التداولي اللساني يتناول مادة أولية، من قبيل ما تتناوله البلاغة في علم المعاني فهو مبحث جزئي يجد مادته في كل الخطابات، و الخطابات الحوارية بشكل أخص، وبذلك فهو لا يبلور جنسا خطابيا متميزا كما هي حال الحجاج في المفهوم المنطقي الذي يعني الخطاب الذي يقع منا دون البرهان، يلامسه و يلامسه مستعيرا بعض صيغه و أقيسته ثم ينحدر في درجات الإحتمال حتى يتداخل مع الشعر في منطقة واسعة و معنى ذلك أن الحجاج في المفهوم اللساني ليس أكثر من مادة أولية بالنسبة إلى الحجاج في التداولية المنطقية التي تشرك مع البلاغة جديدة في تجنيس الخطاب [2].

وقد لخصت ورث اموسي موافق التوجيهات التداولية الحديثة، المنشغلة بالحجاج. من البلاغة في توجيهين كبيرين: توجه الفصل (ومنه جدري ونسبي)، وتوجه الإدماج (الذي تنتمي إليه)، وهذه عبارتها ننقلها على طولها لتماسك أطرافها، وعدم قابليتها للإختزال، تقول:" وعموما فان المواقف فيما يخص العلاقة بين البلاغة والحجاج تمتد من المطالبة بقطيعة جدرية إلى [القول بوجود] توازن بين ما اعتبر مبحثين متمايزين ومتكاملين إلى حدٍّ ما، وصولا إلى إقتراح دمجهما في نشاط لغوي واحد[3]" .

---

[1] د. محمد الهري، البلاغة والحجاج ، ص 269_271.

[2] المرجع نفسه ، ص 272.

[3] د. محمد العمري، البلاغة والحجاج ، ص 272_273.

يستند كلّ موقف من هذه المواقف إلى تصور مختلف للحجاج، كما يستند إلى فرضيات متمايزة، إن لم تكن متضاربة، فمن جهة هناك الحجاج في اللغة الذي يرفض الحجاج البلاغي المبني على الغوصlogos ، معتبرا نفسه علما للدلالة sémantique، وفي الجهة المقابلة نجد نظيرا له في رفض البلاغة متمثلا في المنطق غير الصوري في مراحله الأولى، حين ندر نفسه لإختبار العقلانية اللغوية و صدقية الحجج، أو علم الدلالة الدياليكتيكي، في بداياته حين كان هو الآخر يدرس مراحل النقاش النقدي المؤسس على العقل و بخلاف ما وقع في هذه البدايات من الإلحاح على العقلانية الخالصة فإننا نجد أن هذين التيارين صارا يتبيان اليوم موقفا أقل تصلبا، و يحاولان إدماج المكون البلاغي، ليجعلاه تابعا للحجاج، في مقابل هذه المواقف نجد مقاربات ترى في البلاغة الإطاز الأساسي الذي ينبغي أن يفهم فيه الحجاج و يدمج إذا ما أريد له ألا يقطع عن إستعمال المقامي، هذا الإنقطاع الذي يحرمه من الملائمة العلمية لموضوعه ويفرغه من محتواه.

في الطرف الأقصى من هذا القطب قطب الإدماج يجب التركيز على التيارات التي ترفض الفصل بين الحجاج والبلاغة وهذا كما رأينا، ما تقترحه البلاغة الجديدة لبيرلمان، الذي أعاد البلاغة إلى معناها الأرسطي المتمثل في الوسائل اللغوية الهادئة إلى إجتلاب تسليم الجمهور أو إنخراطه وهذا أيضا ما يفهم من كتاب آدم بونهوم 1997 عن الخطاب الإشهاري وهو بشكل جدري موقف روثا أموسي في كتابها: الحجاج في الخطاب 2006_2000 ففي هذا الأفق لا مجال لرؤية البلاغة والحجاج مبحثين منفصلين[1].

[1] د. محمد الهري، البلاغة والحجاج ، ص 273.

الفصل الأول:

نظرية الحجاج (المفاهيم والاتجاهات)

انبرى رعيل من اللغويين في القرن العشرين لدراسة الحجاج والاهتمام به ومحاولة التنظير له، وقد تناولوا ضمن هذا المسعى الأساليب الإجرائية في لغة الحجاج، و تنوع الخطابات ضمن السياقات المقامية المختلفة وغايتها واستراتجياتتها، و التي تعد في صميم البحث في المنهج التداولي اللساني، و قد أطلقوا على الدراسات الحجاجية الحديثة مصطلح البلاغة الجديدة، و يرجع الفضل في ذلك إلى بيرلمان و زميله تيتكاه عند إصدارهما سنة 1958 لمؤلفهما مصنف في الحجاج[1].

1- مفهوم البلاغة الجديدة:

المقصود الجديدة بالبلاغةتلك البلاغة الحجاجية التي تتعارض مع بلاغة الصور الفنية والمحسنات البديعية، ويمكن إعتبارها أيضا بلاغة أرسطية جديدة، مادام بيرلمان وتيتيكا قد إشتغلا على القضايا الحجاجية نفسها، لكن في ضوء رؤية جديدة[2].

1_1 فضاء نشأة الحجاج أو البلاغة الجديدة :

تأسست البلاغة الجديدة أو البلاغة الحجاجية منذ 1958م، مع رجل القانون الشيكي شايم بيرلمان chaimperelmn واللسانية البلجيكية لوسي أولبرخت تيتيكا lucieolbrechts-teyteca حين أصدر مها كتابهما "المصنف في الحجاج-البلاغة الجديدة" وقد تبلورت هذه البلاغة أيضا [3]ستيفان تولمان stephen toulmin في كتابه استعمالات الدليل أو الحجة وشارل هامبلانcharls hamblin في كتابه الأوهام[4]. وقولهما جديدة يقتضي وجود بلاغة قديمة وهذه البلاغة القديمة هي بلاغة أرسطو (او خطابة

[1] محمد ولد الأمين، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، المركز العلمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، ليبيا، ط 1، 2004، ص15.

[2] د. جميل حمداوي، من البلاغة إلى الحجاج، مكتب التصفيف التقني، الدار البيضاء، 2004، ص 29.

[3] المرجع نفسه، ص 27.

[4] جميل حمداوي، من البلاغة إلى الحجاج، ص 27

أرسطو) من ناحية وبلاغة الأوروبية السائدة في القرن التاسع عشر وما قبله من ناحية أخرى[1].

عرف المجتمع الأوروبي منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين تحولات جذرية شملت مجالات مختلفة كسياسة والاقتصاد والتكنولوجيا... وغيرها، وكان من نتائج هذه التحولات سيادة ثقافة تدعو إلى اعتماد الحوار واحترام التنوع والإختلاف ونبذ كلّ أشكال العنف والإقصاء، ولميكن الحجاجب من أي عن هذه التحولات، بل ساهم بدوره في التأسيس لهذه الثقافة الجديدة، وفي هذا النطاق ظهرت عدة محاولات جريئة حاولت إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل اللذينا ظل لفترات طويلة مرادفا للهما. ومن هذه المحاولات، نذكر المحاولة التي قام بها كل من برلمان وتيتيكا سنة 1958 في كتابهما مع مصنف الحجاج البلاغة الجديدة، الذي حاولا من خلاله أحياء البلاغة وأعادة بعتها من جديد، فقد أظهرا من خلال هذا المؤلف "بلاغة الحجاج" في ثوب جديد غير الذي نشأت فيه إبّان ظهورها[2].

يمثل كتاب مصنف الحجاج والبلاغة الجديدة لصاحبيه برلمان وتيتيكا أهم محاولة لتجديد النظرية الحجاجية الأرسطية، فقد جاء هذا المؤلف في مرحلة كانت فيه البلاغة قد استقرت في صيغتها المحسناتية الشعرية هذه المرحلةالتي انفصلت فيها البلاغة عن وظيفتها الحجاجية الإقناعية التي واسمها بها أرسطو، لتصبح مختزلة فقط في تجميل الخطاب وتزينه.

ومن الأسباب التي أدت أيضا إلى هذا النزوع الجمالي المحسناتي للبلاغة سعود فكر برجوازي، دور اليقين الديكارتي الذي لا يؤمن إلا بالعلم الحقيقي أو المعرفة الحقة، وكان ينظر إلى البلاغة على أنها مجرد معرفة تافهة متسكعة تعنى بالشكل والمظهر الزائد فقط، وهو ما ساعد على إنسحاب البلاغة وتراجع مكانتها، بل وحرمه حرمانها من أبرز مراحلها

(1) عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011، ص71.

(2)كمال الزماني، الحجاج في البلاغة الجديدة من خلال كتاب مصنف الحجاج لبيرلمان و تيتيكا، مجلة الدراسات الثقافية و اللغوية والفنية، برلين، ألمانيا، مج2، ع11، 2020.

الا وهي مرحلة الإيجاد، تدهورت البلاغ وتم إبعادها من البرامج والمقررات الدراسية، وهي الشيء الذي أدى إلى القضاء على كل نظرية خاصة بالحجاج[1].

إلا أن البلاغة، ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين، عرفت أنتكاسة قوية بسبب ثورة الاتصالات المرئية والمسموعة، وحاجة النظام الرأس المالي إلى خلق مجتمع استهلاكي، وذلك بالتحكم بأذواق الناس وإغوائهم بالإقبال على السلعة بواسطة الكلمة البليغة، والحجة القوية والبرهان الساطع، فأصبح الاقتناع به الإقبال على السلعة بواسطة الكلمة البلاغة والحجاج القوية والبرهان الساطع فأصبح الإقناع لا يأتي إلا لمن يمتلك فن الجدال وقوة الإقناع والتأثير والسلطة الحجاج هذا وقد ارتبطت أفكار برلمان بالقانون والفلسفة والحجاج والبلاغة وانتشرت أفكاره الحجاجية في السبعينات من القرن الماضي،وانتشرت في فرنسا في السنوات التسعينيات [2].

وهكذا وجد بيرلمان وتيتيكا الجو الملائم لردم الهوة التي تفصل بين البلاغة عن أصلها الأرسطي، وذلك بأحياء البلاغة وبعتها ورد الاعتبار لها، وجعلها تترادف مع هذه الإمبراطورية الجديدة القديمة المترامية الأطراف والتي تسمى بالحجاج.

ولتحقيق هذا الغرض،قام هذان الباحثان بداية برد الاعتبار للحجاج بإخراحه من دائرة الخطابة والجدل الذين ظل لفترات طويلة مرادفا لهما وذلك من خلال العمل من ناحية أولى على تخليصه من التهمة اللائطة بأصل نسبه وهو الخطابة. وهذه التهمة هي تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضا.

في الحجاج عندهما ينبذ العنف بكل مظاهره، ويقيم بدلا منه حوار أساسه الاتفاق بين الأطراف المتحاورة في جوٍ من المعقولية والحرية، بعيدا [3] عن الإلزام والإضرار اللذين

---

[1] كمال الزماني، الحجاج في البلاغة الجديدة من خلال كتاب مصنف الحجاج لبيرلمان وتيتيكا، ص 115_116.

[2] جميل حمداوي، من البلاغة إلى الحجاج، ص 29.

[3] كمال الزماني، الحجاج في البلاغة الجديدة من خلال كتاب مصنف الحجاج، ص117.

يطبعان الجدل، وذلك بكيفية تجعل الحجاج شيئا ثالثا لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة ... لنقل إنه خطابة جديدة[1].

وقد وضع بيرلمان لبنات الخطاب الحجاجي نظرية وتطبيقا، والهدف من نظريته هو محاولة فهم الكيفية التي تمّ بها إصدار أحكام القيمة، ومن ثم فالحجاج ودوره البلاغي هو أساس نظريته الجديدة. [2]

2_1 نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان:

تعد النظرية الحجاجية التي طورها كل من بيرلمان وتيتيكا من أهم النظريات الحجاجية في العصر الحديث، التي برزت بوضوح في كلّ كتاباتهم.

يحدد بيرلمان وتيتيكا موضوع نظرية الحجاج في الدراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، أما الغاية منه، فيقولان عنها أن غاية كلّ حجاج أن يجعل العقول تدعنا لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق من جعل حدّ الإذعان تقوي درجتها لدي السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، (إنجازه والإمساك عنه) أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة [3].

يري هذان الباحثان أن موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم[4]، أما الغاية منه فيقولان عنها أن غاية كل حجاج أن يجعل العقول تدعنا لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاجما وفق من جعل حدّ الإذعان

---

[1] كمال الزماني، الحجاج في البلاغة الجديدة من خلال كتاب مصنف الحجاج لبيرلمان وتيتيكا، ص117.

[2] جميل حمداوي، من البلاغة إلى الحجاج، ص 29.

[3] Chaïm perlman et luiceolberechts-traité de l’argumentation (la nouvelle rhétorique). P :5_59

[4] الحجاج في القرآن الكريم من خلال أمه خصائصه، عبد الله صولة، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص27.

تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبثهم على العمل المطلوب، (إنجازه، والإمساك عنه) أو هو ما. فق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة.

يرى هذان الباحثان أن موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن يزيد في درجة ذلك التسليم. فالخطاب الحجاجي عندهما خطاب واعي يتركز في أساسه على منتجي الخطاب، وعلى مدى قدرته على بناء نص حجاجي من خلال توظيفه لآليات الحجاجية المختلفة، إذ أنه يحمل الطابع الجدلي الذي يتجسد بين الباث والمتلقي وفق تقنيات معينة يحاول بواسطتها كل منهما إقناع الآخر وإفحامه بحجج منطقية عقلانية.

فالغاية هي التفاعل بين ما هو دهني وما هو عملي، أو لنقل هي إحداث التأثير العملي الذي يمهد لها التأثير الذهني[1].

وإذا كان البرلمان قد دعا الخطيب إلى الاستفادة من صناعتي الجدل و الخطابة، فإنه الدفع بالحجاج إلى الحدود البعيدة، وجعله أوسع منهما بل جعله شاملا ومغطيا لكلّ مجالات الحياة، يحضر في جميع المستويات:كما يحضر في النقاشات العائلية،فانه يحضر وكذلك في المجالات تخصصية متميزة [2]، فكل المكونات الموجودة في رسالة ما مكتوبة أو مقروءة أو مشاهدة أو حتى إشارية هي عبارة عن مستويات معينة من مستويات الحجاج، وبهذا يكون الحجاج مع بيرلمان قد كفّ عن أن يكون حجاج الخاصة، و حجاج المغالطة و الإلتزام و الخداع، ليصبح بدلا من ذلك قادرا على تغطية كل حقل الخطاب المستهدف لإقناع و الإثبات، كيفما كان المستمع الذي تتوجه إليه، مهما كانت المادة المطروحة.

إذا كان بيرلمان قد وسع مجال الحجاج، وجعله شاملا لكل مجالات الحياة، فإنه مل من جهة ثانية على تكييفه بحسب نوع الجمهور المستهدف إذ الحجاج أكثر تأثيرا في

[1] بلاغة الإقناع في المناظرة، عادل عبد اللطيف، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2013، ص 85.

[2]Chaïm perlman et luiceolberechts-traité de l’argumentation (la nouvelle rhétorique). P 10

المستمعين غير مؤهليين ليس بالضرورة هو ذاك الذي يجوز إقناع الفيلسوف [1]، من ثمة يجب علينا ألا نتجاهل نوعية السامعين التي نسعى إلى إقناعهم، لأن تغيير السامعين يجعل الحجاج بدوره يغير مظهره. و لهذه الإعتبارات قسم بيرلمان الحجاج إلى قسمين: الحجاج الإقناعي l'argumentation persuasive والحجاج الإقناعي l'argumentation convaincante فأما الأول هدفه إقناع الجمهور الخاص الذي يهتم بالنتيجة المراد التوصل إليها، وبالعمل المراد إنجازه أكثر من إهتمامه[2] بالحجة، ولا يتحقق هذا الإقناع إلا بمخاطبة الخيال و العاطفة، أما الثاني فهو أساس الإذعان وأساس الحجاج، فهو يخاطب العقل [3]، و يرمي إلى أن يسلم به كلّ إنسانً وهو ما يجعاه عاما و صالحا لكلّ أنواع الجمهور، لأن الحجاج غير الملزم و غير الإعتباطي وهو وحده القمين بأن يحقق الحركة الإنسانية من حيث هي ممارسة لإختيار عاقل فان تكون الحرية تسليما إضطراريا بنظام طبيعي معطى معناه إنعدام كلّ إمكان للإختيار إن أهم شروط الحجاج عند بيرلمان هي أنباؤه على التفاعل و الإختيار[4] العقليين الذين يبيجان إمكانية التعدد و الإختلاف من جهة، و يرفضان كلّ محاولة لفرض الحقيقة الواحدة من جهة ثانية، و بذلك يكون الحجاج عند بيرلمان أقرب إلى مجال الخطابة القائم على المحتمل، فحججه قائمة على العقل لكنها غير ملزمة، فهي تترك للمتلقي حرية رفضها و معارضتها لكن على سند عقلي أيضا حتى لا يقع في المخاطبة السفسطانية[5].

وبناء على ما سبق، نستطيع القول إن بيرلمان وتيتيكا مشروعا حجاجيا متكاملا طابقا فيه، منذ البداية بين البلاغة والحجاج كما يشير إلى ذلك، من أول وهلة، عنوان كتابهما

---

[1] الإستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الوالي، دار الأمان، الرباط، 2005، ص 355.

[2] Chaïm perlman et luiceolberechts-traité de l'argumentation (la nouvelle rhétorique). P 9_10_35_36

[3] الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، عبد الله صولة، إشراف عمادي صمود، سلسلة آداب مج: 39، كلية الآداب، منونة. دت، ص 298.

[4] Chaïm perlman et luiceolberechts-traité de l'argumentation (la nouvelle rhétorique). P 35_ 36.

[5] بلاغة الإقناع مقاربة نظرية تطبيقية، عبد العالي قادا، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 2012، ص160.

الضخم، وتكتسي هذه المطابقة أهمية بالنسبة للمحتوى، ذلك أن كلّ ما إعتدنا إعتباره بلاغة في خطاب ما وخاصة صور الأسلوب، سيفسر بإعتباره حالة خاصة من أحوال الحجاج[1].

2- اتجاهات الحجاج :

2_1 اللساني :

يهتم بالصور Figures بالبديعية (بالمفهوم الذي قصده ابن المعتز) أشهر نماذجه و أبرزها عمل مجموعة Mu ، أو مجموعة لييج ببلجيكا كما تبلور في كتابها : البلاغة العامة ، و برغم إستناد هذا التيار إلى الشعرية اللسانية النبوية التي تفرعت عن جهود الشكلانيين ، و انتقلت على يد منظرين كبار ، مثل "جاكبسون " ، إلى التداول العالمي ، فإنهّا تعتبر في نظر الطامحين إلى بلاغة عامة للخطاب ، كلّ الخطاب ، مجرد بلاغة مختزلة ، لم تعد تزكية التّوجه الإغتزالي التي آلت إليه البلاغة و هي تتقلص عبر التاريخ ، حين صارت بلاغة للصور ، مما يدخل في باب البديع و المحسنات الزخرفية . و عموما فإن إستراتيجية هذه البلاغة كانت واضحة وهي البحث في الأدبية أي فيما يجعل نصا ما نص أدبيا ، أي البحث في الشعرية العامة . و قد تحدث " جيرار جنيت " عن هذا المسار الإنحساري في مقال مشهور بعنوان : « البلاغة المختزلة » ، كما تناول " رولان بارة " تاريخ انحسار البلاغة في دراسة مشهورة « بعنوان البلاغة القديمة [2] » ، و كان هذا الإتجاه الأسبق في الظهور من حيث الممارسة ، غير أنّ أول ظهور له في مؤلف ، وفق ما وصلنا ، وفق تصريح صاحبه ، إنّما كان من كتاب البديع " لعبد الله بن المعتز " في القرن الثالث الهجري (ت 296 ه) ، وقد وفق هدا الكتاب كما هو معروف عند تسمية مجموعة من الصور البلاغية ، وضع أقلّها في [3]درجة البديع ، أي الجديد ، و وضع أكثرها في رتبة التحسين ، وقدّم أمثلة لها من المنظوم و المنثور ، ثم تلته كتب كثيرة سارت على خطته مثل : « البديع » لأسامة بن منقذ (ت 584) ، و« تحرير التحبير » "لإبن أبي الإصبع " (ت 654) ، و قد زاد

---

(1) البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005، ص216

(2) د.محمد العمري ، البلاغة و الحجاج ، أو بلاغة الحجاج ، ص 265 .

(3) المرجع نفسه ، ص 267 .

بعضها على البعض بالتفريغ و التشقيق و محاولة التعريف ثم جاء من حاول التجنيس و التنسيق (السجلماني و إبن البناء). ولكن لا أحد من البديعين خاض في الأبعاد المقامية و الحجاجية لتلك الصور .

و كان عمل البديعين يتغذى من الملاحظات العفوية الذوقية و القراءات التطبيقية (الشروح) والخصومات الأدبية (الشعرية) ، و يغذي كتب النقد الأدبي بل إنّه غذّى أيضا كتب الإعجاز التي حاولت تأويله و تنظيمية ليستوعب البلاغة القرآنية إبتداء من الرماني و الباقلاني وصولا إلى عبد القاهر الجوجاني كما بينا في كتاب البلاغة العربية ، و في هذا السياق الإعجازي الخطابي أخذ « البديع » صفة « بلاغة » . فكتاب أسرار البلاغة للجرجاني هو قراءة لمجموعة خاصة ، محدودة جدا ، من صور البديع [1] .

2_2_ المنطقي أو الفلسفي : يهتم بالحجج Arguments و سبل الإقناع . وظهر أحسن نماذجه ، هو الآخر ببلجيكا على يد العلاّمة " بير لمان " في عدد من كتبه خاصة في المعلمة التي أنجزها بمشاركة "أو لبريشت تيتيكا " بعنوان « مؤلف في الحجاج ، البلاغة الجديدة » و هناك من يترجمها : (الخطابة الجديدة) و هو إتجاه يعلن ارتباطه بخطابية أرسطو و بنائه عليها . و صدق هذا التيار [2] ما قيل في التيار الأول ، فقد اختزل هو الآخر ، البلاغة في بعدها التداولي الحجاجي ، فمع كلّ التفتح على حجية الصور البديعية ظلّ الشعر خارج هذه البلاغة ، كما اختزل الخطاب الحجاجي نفسه . يقول في المبحث الأول من كتابه : حقل الحجاج : « إن نظرية الحجاج ، كما عددناها ، تجعلنا نفكر على التو من عينت موضوعها ، في البلاغة القديمة ، هذه البلاغة التي سأعالجها ، مع ذلك من خلال انشغالات عالم المنطق ، و هذا سيضطرني إلى اختزال جوانب من أبحاثي وتوسيع أخرى » . و قد ظل مسار البلاغة الحجاج التي دأب بيرلمان على تشييذها من خلال مؤلفات عدة ، و في واجهات مختلفة ، يبسط نفوذه ، و يمدّ حتى المختلفين معه بعتاد لا يمكن الإستغناء عنه .

---

[1] المرجع نفسه، ص267.

[2] د.محمد العمري ، البلاغة و الحجاج ، أو بلاغة الحجاج ، ص 266 .

و على الرغم من ظهور الخلاف حول قضايا السياسة و الدين و تكوّن الفرق و المذاهب ، و الإطلاع على تراث الأمم الأخرى . التراث الأرسطي خاصة ، و الاستعانة به في إطار الجدل و المناظرة جاء متأخرا عن ممارسة نقد الشعر فقد ظهرت النواة البلاغية الخطابية الأولى التي توازي كتاب البديع و تعادله في القرن الثالث الهجري هي الأخرى . نقصد بذلك كتاب البيان و التبيين للجاحظ ت(255 ه) و هو كتاب مؤسس للحجاج و بلاغة الخطاب الإقناعي، و لا علاقة له بنقد الشعر كما بينا في الفصل المخصص له في كتاب البلاغة العربية . [1]

لقد تدرج الكتاب في تعريف البيان من الإفهام إلى التأثير و الإقناع وفق المقامات يقول الجاحظ : مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع إنّما هو الفهم و الإفهام . فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضح . و لذلك كان تقديم صحيفة بنثر بن المعتمر حدثا رمزيا حدد إستراتيجية الكتاب ، كما حددها تعريف البيان و مقايضته بالبلاغة ثم مقايضة البلاغة بالخطابة ، وجعل بلاغة الخطاب في مراعاة المقامات و أحوال المخاطبين . ولم يستطع البلاغيون استيعاب ما كان يجري في مجال المناظرة و الجدل إذ ظلت هذه المباحث مرتبطة بعلم الكلام . و لذلك انتقدهم إبن رشد و اعتبر عملهم بعيدا عن عمود البلاغة ، قائلا و كلّ من تكلم في هذه الصناعة ممن تقدمنا فلم يتكلم في شيء يجري في هذه الصناعة مجرى الجزء الضروري و الأمر هو أحرى أن يكون صناعيا ، و تلك هي الأمور التي توقع التصديق الخطبي ، و بخاصة المقاييس التي تسمى في هذه الصناعة الضمائر ، و هي عمود التصديق الكائن في هذه الصناعة ، يعني الذي يكون عنها أولا و بالذات . [2]

2_3_ البلاغي :

وهو يسعى إلى دمج الاتجاهين السابقين باعتبارهما إقليمين متداخلين في منطقة واسعة ، كما " أوليفي روبول " في مقال له بعنوان الصورة و الحجة La figure et

[1] المرجع نفسه، ص 266 ، 268 .
[2] د.محمد العمري ، البلاغة و الحجاج ، أو بلاغة الحجاج ،ص 268 .

l'argument ، و قد تدعم هذا المنحنى بدراسات قيمة من قبيل دراسة " لهنريش بليت " بعنوان « البلاغة و الأسلوبية » ، أعاد فيها إلى واجهة البعد التداولي الحجاجي للبلاغة القديمة ، هذا البعد الذي تفتقده الأسلوبية الحديثة التي تقدّم أحيانا باعتبارها وريثا بل بديلا للبلاغة التي صارت علما معياريا ، كما قيل . و من الباحثين الذين ينسبون حاليا أنفسهم إلى هذا الإتجاه ويدعمونه نظريا و تطبيقيا "روث أموسي " .

يجب الإعتراف بأن التيارين الأولين و الثاني قد عمّقا البحث ، كلّ في المجال الذي تناوله ، وسار في استقصائه بشكل طبيعي حتى عام كلّ منهما حول جمى جاره ، بل ربما وقع فيه و أوغل في أعماقه ، فظهر الإهتمام بحجاجية الشعر و احتمالية الحجج أو شعريها ، و هذا ما سهل ظهور الأسلوب الثالث و أوحى بإمكانه ، إذا كانت الجسور ممدودة ، خاصة أنّهما يستلهمان التراث البلاغي كلّ من الجانب الذي يهمه . [1]

و بعد زماء قرن من الزمن على ظهور كتابي البديع و البيان ظهرت أول محاولة لدمجهما في بلاغة عامة في كتاب دال من عنوانه ، هو كتاب [2] الصناعتين " لأبي هلال العسكري " (ت 395 ه) ، وقد أثارت إنتباها هذه المحاولة ، فبرزوها بمقال بعنوان « الصناعتان » البحث عن بلاغة عامة .

أما النموذج الأمثل لمناقشة التداخل بين البلاغتين في التراث العربي فهو الذي نجده عند حازم القرطجاني في كتابه منهاج البلغاء ، وقد أبرزت هذه الخصوصية في عدّة مناسبات . [3]

3_ أساليب الحجاج في التراث البلاغي العربي :

يشير المؤلفان بيرلمان و تيتكا إلى مجموعة من التقنيات و الوسائل التي تؤدي وظيفة البرهنة و تفضى إلى إقناع الجمهور و حمله على التصديق من ذلك : المحاجة بتقنيات المثل ، الاستشهاد ، النموذج و عكس النموذج و الحجاج بواسطة التمثيل أو الإستعارة ، و حجة

(1) د.محمد العمري ، البلاغة و الحجاج ، أو بلاغة الحجاج ، ص 265 .
(2) المرجع نفسه ، ص 268.
(3) المرجع نفسه ، ص 268.

السلطة و الحجة القائمة على قاعدة العدل و الحجاج بالتعريف و الترابط الرمزي ، و فيما يلي نعرض نماذج لهذه الحجج .

1_ المثل : يؤتى به في الحالات التي لا توجد فيها عادة مقدمات و يؤتى به للبرهنة ، و لتأسيس قاعدة عامة وتشكل قانونا ، و من ثم يكون عادة سابقا للقاعدة على عكس الاستشهاد الذي يكون لاحقا ، قصد تقوية حضور الحجة العامة . مثال : " زيد الملك جنح للطغيان لأنّه طلب أن يكون له حرس خاص " (مثل تاريخي يشكل قاعدة أو حالة خاصة) .

و يمكن لهذا المثل التاريخي أن تبنى عليه قاعدة عامة و تشكل قانونا وهي في هذا المثال : " طلب الملوك حرسا أمارة جنوح للطغيان " و المثل من الصيغ اللغوية التي تتجاوز مجود إحداث التأثير الحجاجي في الجمهور إلى الإتحاد مع الجمهور فكرا و وجدانا ، مثله في ذلك مثل القوالب المكرورة : (صيغ و قوالب لغوية جاهزة) . [1]

ويساعد على انتشار الأمثال و ما شتى به وجود قاعدة أو معيار يؤلها لكي تكون في الخطاب منطلقا للاستدلال على شرط أن تكون مما يقبله الجمهور .

2_ الإستشهاد : أمّا الاستشهاد فيؤتى به للتوضيح ، و يكون عادة لاحقا للقاعدة قصد تقوية حضور الحجة وقصد جعل القاعدة المجردة حسية و ملموسة ، ومن شأنه أن يقوي درجة التصديق بقاعدة ما ، و ذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام .

و لما كان الإستشهاد يهدف إلى تقوية حضور الحجة يجعل القاعدة المجردة ملموسة بواسطة الحالة الخاصة يستشهد بها علما ، فقد نظر إليه على أنّه صورة " Image " تدعم القاعدة و توضحها .

3_ **حجة النموذج و عكس النموذج :** استخدام حجة " النموذج " و" عكس النموذج " مداره على كائن نموذج يصلح على صعيد السلوك ، لا لتأسيس قاعدة عامة أو دعمها فحسب و إنّما يصلح كذلك للحض على عمل ما إقتداء به و محاكاة له . إنّ قيمة الشخص المعترف بها

[1] د.هدى وصفي ، د أحمد يحيى ، المقال الجدلي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ، 2010،ص34.

يمكن أن تكون مقدمة نستنتج منها نتيجة تدعو إلى توخي سبيل من السبل ، و مثلما أن لكلّ إنسان نموذجه فلكل قطر نموذجه ، و لكل عصر نموذجه أيضا .

وبواسطة حجة " عكس النموذج " يكون الحض لا على الإقتداء و إنّما على الإنفصال عن الشخص الذي يمثل عكس النموذج .

4_ **حجة التمثيل :** يرى المؤلفان أن التمثيل ، أو الاستدلال بواسطة التمثيل في الحجاج ينفي أن تكون له مكانته ، باعتباره أداة برهنة ، فهو ذو قيمة حجاجية [1] .

إنّ التمثيل مواجهة بين بنى متشابهة ، و إن كانت من مجالات مختلفة .

و يضرب د.عبد الله صولة مثالين على ذلك قوله تعالى : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت » [العنكبوت 41] [2]و قوله أيضا : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » [الجمعة 5] . [3]

و في المثال الأوّل نجد أن العلاقة بين العناصر : " المشركين " ، أوليائهم ، العنكبوت بيتها ، ليست علاقة تشابه،بل تشابه علاقة.

و ذلك أن علاقة المشركين بأوليائهم ، يعتصمون بهم ، تشبه علاقة العنكبوت بيتها ، تبينه و تعتصم به من المعتدى .

و يسمي المؤلفان ما يماثل العنصرين : المشركين و الأصنام (الموضوع) و يسميان العنصرين العنكبوت وبيتها (الحامل) ، و قد جرت العادة أن يكون الحامل أشهر من الموضوع بحيث يأتي ليوضح بنيته العلائقية.

---

[1] د.هدى وصفي ، د. أحمد يحيى ، المقال الجدلي ، ص34 ، 35 .
[2]سورة العنكبوت ، الآية 41.
[3] سورة الجمعة ، الآية 5 .

إنّ الشرط في التمثيل " أن يكون الموضوع و الحامل من ميدانين مختلف أحدهما عن الآخر ، فإذا كانت العلاقة بين عنصري الموضوع من ناحية ، و عنصري الحامل من ناحية أخرى ينتميان إلى مجال واحد لم تسم الظاهرة تمثيلا ، و إنّما استدلالا بواسطة المثل أو الاستشهاد " . [1]

5_ **حجة الاستعارة :** العلاقة بين طرفي التمثيل هي غالبا علاقة تفاعل ، فالموضوع لا يكتفي بالتأثير بالحامل وإنما يؤثر بدوره فيه ، هذا التفاعل بين أطراف التمثيل يشتد أحيانا فيصبح استعارة ، وقد اهتم المؤلفان بحجاجية الاستعارة انطلاقا من التفاعل الحاصل فيها بين الموضوع و الحامل فهي تمثيل مكثف .

و من أكثر ضروب الاستعارات إقناعا في رأي المؤلفين الاستعارات النائمة : أي التي ننوس أصلها المجازي،والعبارات ذات المعنى الاستعاري .

6_حجة الشخص و أعماله : إن علم لأخلاق و القضاء يعتمدان مفهومي الإنسان و أعماله من حيث هما مفهومان مترابطان لأحدهما عن الآخر.

فعلم الأخلاق و القضاء يحكمان على العمل و على صاحبه في الوقت نفسه و هكذا فإن الشخص هو مجمل المعلوم من أعماله أي بتعبير أدق هو العلاقة بين ما ينبغي أن نعتبره جوهر الشخص و بين أعماله التي هي تجليات ذلك الجوهر ، و لئن كانت الأعمال تجلو جوهر الشخص و تفسره فإنه في المقابل يمكن أن يكون الشخص أو بالأحرى ما نعرفه عن الشخص هو الذي يفسر لنا ما غمض من أعماله . يمكن أن نقدم مثالين الأوّل على مسار : عمل _ شخص . [2]

إنّ من قتل أباه و تزوج أمه لا يمكن إلاّ أن يكون مجنونا ، الجنون جوهر و أعمال قتل الأب و تزوج الأم تجليات له ، أو الشخص في جوهر مجنون و أعماله تجليات لذلك .و

(1) د.هدى وصفي ، أحمد يحيى ، المقال الجدلي ، ص 35 ، 36 .
(2) المرجع نفسه ، ص 36 ،37 .

المثال الثاني على المسار : شخص _ عمل : لا يستقيم الظل و العود أعوج (اعوج الظل لأن العود معوج).

7_ **حجة الإتجاه :** وتتمثل أساسا في التحذير من مغبة إتباع سياسة المراحل التنازلية كقولنا : إذا تنازلت هذه المرة وجب عليك أن تتنازل أكثر في المرة القادمة و الله أعلم أين ستقف بك سياسة التنازل هذه ؟ أو التحذير مغبة انتشارها ظاهرة مما يسمى بحجة الإنتشار أو العدوى كأن يقال في سياق التحذير : « تفاحة فاسدة تفسد الصندوق كلّه » .

8_حجة التماثل والحد : التماثل التام مداره على التعريف من حيث هو تعبير عن التماثل بين المعرّف و المعرَّف،وليس المعرّف تمام المعرَّف على الحقيقة فقولنا على سبيل المثال : الرجل رجل أو الأب يبقى دائما أبا .

لا تجد فيه معنى المعرّف و هو " رجل " أو "أبا " هو نفسه معنى المعرّف و هو "الرجل " و " الأب " و لهذا قيل عن مثل هذه العبارات أن أحد ركنيها ورد على الحقيقة و الآخر على وجه المجاز .

إنّ صيغة التماثل ليست إلاّ طريقة شكلية نتوخاها في تقويم شيء ما تقويما إيجابيا أو سلبيا ، إلاّ أن الدالة الحجاجية لهل لا تكون إلاّ في مقام بعينه فهذا المقام هو الذي يعطي لهذه العبارات دلالتها المخصوصة .[1]

9_ **الحجج القائمة على العلاقة التبادلية و على قاعدة العدل :** تتمثل هذه الحجج في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة ، وزه وما يعني أن هاتين الوضعيتين متماثلتان ، و لكنّ بطريقة غير مباشرة ، و تماثلهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل .

مثال : أحلال عليكم حرام علينا (مثل) في قول شوقي .

أحرام على بلابله الشدو حلال للطير من كل جنس

(1) د.هدى وصفي ، أحمد يحيى ، المقال الجدلي ، ص 37.38 .

على الحجج القائمة على العلاقة التبادلية يمكن أن تنشأ عن قلب وجهات النظر من قبيل إذا كانت تقاليد أهل الصين تبدو لكم غريبة فأنّ تقاليدكم تبدو لهم كذلك ، [1] أو كما في القرآن : قوله تعالى :

« قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون » [هود 38]. [2]

[1] د. هدى وصفي ، أحمد يحيى ، المقال الجدلي ، مرجع سبق ذكره، ص 38 .
[2] سورة هود ، الآية 38 .

الفصل الثاني:
حجاجية الأساليب البلاغية
(البيانية والبديعية) في الأحاديث النبوية

حجاجية الصور البيانية:

دراسة تحليلية في الحديث النبوي:

إذا سلمنا بأن للغة طاقة حجاجية كامنة، تمتلكها البنيات والآليات والأساليب اللغوية والاستدلالات المنطقية وشبه المنطقية فكيف إذا اقترنت هذه المكونات بالمكون البلاغي الأكثر جمالا وأناقة ورقة وهو البيان، فذلك يجعل الخطاب حاملا لشحنة دلالية استدلالية وكذا لشحنة جمالية عاطفية، هل سيكون الخطاب قادرا على الاقناع والامتاع في ذات الوقت، بعيدا عن البنيات المنطقية الصارمة البعيدة عن الأذهان والمنفردة للوجدان.

جاء في المعاجم اللغوية أن البيان "ما بيّن به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانا، اتّضح فهو بين والجمع أبيناء، مثل " هين وأهيناء، وكذلك أبان الشيء فهو مبين قال الشاعر: لَوْ دَبَّ ذرٌ فوق ضاحي بلدها لَأَبانَّ مِن آثارهن حدُودٌ[1].

وجاء في الحديث (إنَّ مِنَ البيانِ لَسِحْراً) [2]، وفي معرض الإفحام والقدرة على الإقناع، وإثارة إعجاب السامع، وشدة وقع الكلام في نفسه[3].

عرّف ضياء الدين ابن الأثير البيان على أنه محصور في بلاغة الكلام وفصاحته، يقول في ذلك: "إن موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأله عن أحوالهما اللفظية والمعنوية وهو والنحو يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة والوضع اللغوي، وتلك دلالة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب، إلا ترى إنّ النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور، ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة[4]".

وقد عُني البلاغيون بهذا العلم ومصطلحاته المختلفة، ودرسوا مباحثه في ثلاثة أبواب رئيسية هي:

1- التشبيه.
2- المجاز بأنواعه.
3- الكناية.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، مادة (ب،ي،ن)، ص198، ورد البيت في معجم ابن منظور.
(2) ابن حجر، فتح الباري، الجزء العاشر، كتاب الطب، رقم الحديث 5767، ص267.
(3) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، مادة (ب،ي،ن)، ص198.
(4) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر، الجزء الأول، ص39.

أما عن مفهوم الصورة البيانية، فقد عرفها فالح الحمداني بأنها "طريقة خاصة من طرف التعبير أو وجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه من معنى من المعاني من خصوصة وتأثير، ولكن أيّاً كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير فإن الصورة لن تتغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه." [1]

إلا أن هذا الرأي ينتقص إلى حد ما من جمالية وخصوصية الصورة، في روعة تأليفها وحسن مسمعها وقوة تأثيرها وهذا الأخير يأتي إذ لو كان الكلام تقريريا.

فمن وظائف الصور الفنية: "أنّها تزيل عن العمل الابداعي ما يمكن أن يتسم به من طابع التقرير والمباشرة وقد أوضح الدكتور جابر أحمد عصفور هذا البعد الجمالي في وظيفة الصور المجازية وطبيعة احتضانها للمعنى بقوله: ولكن خصوصية الصور المجازية تتجلى في أنّها لا تقود المتلقي إلى الغرض مباشرة مثلما تفعل العبارات الحرفية، وإنّما تنحرف به عن الغرض، فتبرز له جانبا آخر تثير فصوله، فيقبل المتلقي على تأمل الصورة المجازية واستنباطها، وعندئذ ينكشف لهُ الجانب من المعنى ويظهر الغرض كاملاً[2]" فجمال الصور البيانية ورقة مسمعها هو الذي يدعو السامع لمحاورتها، مما يجعله يبني معرفة استدلالية تقوم على مختلف العلاقات اللغوية والغير اللغوية والمنطقية وشبه المنطقية، التي جعلت واقعه المحسوس بالواقع المتخيل والغرض منها في خطاب المتكلم.

1- التشبيه وحجاجيته:

يعتبر التشبيه "من أقدم صور البيان ووسائل الخيال وأقربها إلى الفهم، وهو لون من ألوان التعبير الأنيق، تعمد إليه النفوس بالفطرة حين تسوقها الدواعي إليه، فهو من الصور البيانية التي لا تختص بجنس ولا لغة لأنه من الخصائص الإنسانية، والخصائص الفطرية في الخاصة والعامة"[3]. فالتشبيه سمة طبيعية في خطاب المتكلم الذي يستجيب لها المتكلم بكل ما يجيش في نفسه من عواطف وانفعالات، وأفكار تعكس خلفياته الدينية والثقافية والمعرفية.

التشبيه في **اللغة** هو: "التمثيل، وهو مشتق من مادة شبه و(الشُّبه، والشَّبه والشبيه): المثل، والجمع أشباه، تقول أشبه الشيئ، بمعنى ماثله والمتشابهات المتماثلات... والتشبيه التمثيل"[4][والتشبيه في الاصطلاح البلاغيين له أكثر من تعريف].

فذهب ابن الأثير إلى أن اللغويين لم يفرقوا بين التشبيه والتمثيل وإلى ذلك ذهب بعض البلاغيين كالزمخشري وابن الأثير الذي يرى أن "لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال

---

(1) فالح حمد أحمد الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النّبوي الشريف، مؤسسة الوراق، ط1، 2001، ص26.
(2) فالح حمد أحمد، المرجع نفسه، ص39.
(3) طالب محمد الزوبعي، وناصر حلاوي، البلاغة العربية، البيان والبديع، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1996، ص22.
(4) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص622-623.

شبهت هذا الشيء بهذا الشيء كما يقال مثلته به"[1]، ولكن المتأخرين من أمثال السكاكي والقزويني وشرح التلخيص يرون أنه نوع من التشبيه المركب، ولقبوه بالتشبيه التمثيلي[2]، أمّا صاحب أسرار البلاغة فهو يفرق بين الضربين باعتبار أن التمثيل جزء من التشبيه، في قوله "فاعلم أن التشبيه عام، والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا"[3]. فأنت تقول قول قيس بن الخطيم:

وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبحِ الثُّريا لِمَنْ رَأَى كَعُنْقودِ مُلاحية مِنَ نورا[4]

ويرى العلوي أنّه "الجمع بين شيئين أو الأشياء بمعنى ما بواسطة الكاف، ونوحوها والتحديد على هذا النحو حسب رؤية الدكتور محمد عبد المطلب يستوعب التشبيه المفرد والمركب على أوصافه ودرجاته كما أن ذكر (بمعنى ما) يستوعب مجموعة من التحولات الذاتية في الطرفين العقلية والحسية، ثم يأتي قوله (بواسطة الكاف) ليتخرج العطف لأنه جمع على غير معنى لتشبيه، كما أن ذكر الكاف يحجب بنية الاستعارة من التداخل مع بنية التشبيه." [5].

وللتشبيه تعريفات أخرى كثيرة لا تخرج في جوهرها ومضمونها كما أوردناه، نستطيع أن نخرج للتشبيه بالتعريف التالي: أن التشبيه بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه.

يتألف التشبيه من أربعة أركان هي:

أ. **المشبه:** وهو الطرف الذي يقصد تشبيهه بأمر آخر.
ب. **المشبه به:** وهو الطرف الذي يقصد به طرف آخر لغرض بلاغي ما ويسمى المشبه والمشبه به: طرفي التشبيه ولا يجوز حذفهما، فإذا حذف أحدها تحولت الجملة من التشبيه إلى الاستعارة.
ج. **أداة التشبيه:** وهي اللفظة المستعملة لربط المشبه بالمشبه به، وأشهرها الكاف "ومثل وكأن وغير ذلك من الأدوات التي تدل على معنى المشابهة، ويجوزحذف الأداة في جملة التشبيه.

---

(1) ابن الأثير، المثل السائر، حققه وعلق عليه الشيخ كامل محمد عويضة، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص373.
(2) بن عيسى باطاهر البلاغة العربية، ص215.
(3) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، علق عليه أبو فهر، ومحمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1991، ص95.
(4) المرجع نفسه، ص95، والبيت ليس لقيس بن الخطيم، إنّما هو لأبي قيس بني الأسلت، انظر الأغاني، 17/130.
(5) محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص138.

د. **وجه الشبه**: وهو الصفة أو الصفات التي تجمع المشبه بالمشبه به، ويمكن أن يذكر الوجه أو يحذف من التشبيه"[1] في مثل قوله تعالى: " وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ "[2].

2- أنواع التشبيه:

أ. التشبيه المرسل وحجاجيتهُ:

التشبيه المرسل هو "ما ذكرت فيه أداة التشبيه"[3]وقد وردت الكثير من التشبيهات المرسلة في الحديث النبوي، نذكر منها:

الحديث رقم 1:

وفي حديث النبي ﷺ في قوله: "يدخل أهلُ الجنّة الجنة وأهل النّار النار ثم يقول الله تعالى أخرجُوا من النار من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودُّوا فيُلقون في نهر الحيا أو الحياة شك مالكٌ فينبتون كما تنبتُ الحبّةُ في جانب السيل ألم تر أنها تخرجُ صفراء ملونة"[4].

ورد في الحديث تشبيه مرسل استوفى كل أركان التشبيه، فشبه أهل النار الذين ألقوا في النهر، بالنبتة وذكر وجه الشبه في قوله (صفراء ملتوية) أي ألا تنظر إلى بداية خروجها من الأرض فإنها تكون صفراء اللون نظرة، جميلة، ملتوية الساق، ثم تتمدد وتتفتح أوراقها وهذا ما يزيدها جمالاً وبهاءاً. ففي قوله ﷺ (يدخل أهلُ الجنّة الجنة) وأهل الجنة هم أهل الايمان أي المؤمنون الصادقون مع الله ويدخلون الجنة برحمة من الله وبسبب أعمالهم، وأهل النار هم الكافرون والمشركون والمنافقون والعصاة من المسلمين الذين أوجب الله تعالى العقوبة في حقهم لما اقترفوه من منكرات توجب العقاب في حقهم.

وفي الحديث عن عذاب أهل النار ينادي ربّ العزة جلّ وعلا، أنْ أخرجوا من كان في قلبه حبة خردل (من إيمان رحمة منه سبحانه، فلا يقنط العصاة ومرتكبي الكبائر من رحمة الله، وحتى يعلم الكافر والجاهل أنه لا منجى من الله إلا بتوحيده والإيمان به وبرسالاته).

فالتشبيه الذي أتى به النبي ﷺ أنيق بسيط بعيد عن التعقيد والتكلف، لأن المشبه به حقّه أن يكون أعرف بجهة التشبيه من المشبه، وأخص بها وأقوى حالا معها وإلا لم يصح أن يذكر لبيان مقدار المشبه، ولا بيان مكان وجوده، ولا لزيادة تقريره [5] وفي حديث النبي

---

[1] بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، ص217.
[2] سورة يس، الآية 29.
[3] بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، 218.
[4] ابن حجر فتح الباري الجزء الأول، كتاب الإيمان، رقم الحديث 22، ص91.
[5] السكاكي، مفتاح العلوم، ص345.

ﷺ شمل العفو من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان وفيه إشارة إلى "ما لا أقل منه، قال الخطابي: هو مثل ليكون عياراً في المعرفة لا في الوزن، لأنّما يشكل في المعقول ير إلى المحسوس ليفهم"[1].

إضافة إلى الجانب المعرفي للتشبيه، فقد أضفى على هذه الدّعوة النبوية قوة وجمالا، حيث غلب على الحديث الجانب المشرق الذي يعتبر بصيص أمل ونجاة لمن أثقلته الكبائر من الذنوب، وهذه هي الغاية الحجاجية التي تضمنها هذا الحديث.

ب. التشبيه المؤكد وحجاجيتهُ:

أما التشبيه المؤكد: فهو ما حذفت منه الأداة، وحذف الأداة يجعل التشبيه أكثر مبالغة وتأكيدا[2].

وقد استعمل النبي الكريم ﷺ التشبيه المؤكد في الكثير من السياقات التي تحتاج إلى تمثيل وتوضيح دلالاتها بصور بيانية لطيفة إذا كان المقام مقام ترغيب وأخرى مخيفة إذا كان المقام مقام ترهيب.

الحديث رقم 2:

وقد ثبت عن سليمان بن عمر بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه حجة الوداع مع النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وذكر ومن ذلك وصيته في النساء، فقال: "ألا واستوصوا بالنّساء خيراً فإنّهن عندكم عَوانٍ ليْسَ تَمْلِكون مِنْهُنَّ شيئاً غير ذلك إلاّ أن يأتي بفاحشةٍ مبينةٍ، فإن فعلْنَ فاهْجُروهُنَّ في المضاجع واضربُهُنَّ ضَرباً غير مُبرحٍ، فإن أَطَعْنَكم فلا تَبْغوا عليهنَّ سبيلاً، إنَّ لكُمْ من نسائكم حقًّا ونِسائِكم عليكم حقًّا فأمَّا حقّكُم على نسائِكم فلا يُوَطِئَنَّ فُروشَكُمْ من تكرهُونَ، وَلاَ يَأْذَنَّ في بُيُوتكم لِمنْ تكرهون، ألا وحَقُهُنَّ عليكُم أن تحسنوُا إليهنَّ في كسوتهنَّ وطعامهِنَّ ..." [3].

وجاء في قوله (عوان)تشبيه مؤكدا حذفت منه الأداة، حيث شبه النساء بالعوان، (لا تملكون منهن شيئا غير ذلك)، أي لا تملكن إلا حريتهم فهن لا يخرجن ولا يقمن بأي أمر إلا بإذن أزواجهن فهن ماكثات في البيت يسهرن على تلبية حاجات الزوج والأولاد، وبالتالي فهنّ في حاجة إلى الرعاية والمعاشرة الطيبة لقاء ذلك، والبعد الحجاجي لهذا التشبيه هو حث الرجل للقيام بواجبه اتجاه زوجه وحفظ حقوقها وكرامتها والتحسيس بضعفها الذي يضاهي

(1) ابن حجر فتح الباري الجزء الأول، كتاب الإيمان، رقم الحديث 22، ص92.
(2) بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، ص218.
(3) الحافظ أبي علي محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي، بشرع جامع الترميذي، الجزء الرابع، باب ما جاء في حق الزوجة على زوجها، رقم الحديث 1173، ص 326.

ضعف الأسير، وهي من الحجج التي تستدعي القيم داخل النسيج الأسري، حسب تصنيف بيرلمان PERELMAN.

كما ينقسم التشبيه بحسب وجه الشبه إلى مجمل ومفصل:

ج. التشبيه المجمل وحجاجيتهُ:

فأما المجمل: "فهو ما حذف منه وجه الشبه"[1].

يقول الشاعر: مَنْ يصنعُ الخير مَعَ ليس يعرفُهُ كواقد الشّمع في بيتٍ لعُميان

فقد شبه فاعل القيل في غير أهله بواقد الشمع للعميان، ووجه الشبه محذوف يمكن تقديره بعدم الانتفاع، ونكران الجميل ومن هنا سمي هذا التشبيه مجملا وهو من التشبيهات التي تستدعي الفطنة وتقليب النظر فيه للوقوف على العلاقة التي جمعت أطرافه، وهذا في حد ذاته يستدعي القيام عمليات ذهنية استدلالية من قبيل الاستدلالات المنطقية.

الحديث رقم 3:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "من اتبع جنازة مُسلم إيمانا واحتساباً وكان معهُ حتى يُصلَّى عليها ويَفْرُغ من دَفْنِها فإنَّهُ يرْجَعُ من الأجر بقيراطَينِ كُلُّ قيراطٍ مثْلُ أُحُدٍ ومن صلَّى عليها ثمَّ رجعَ قَبْلَ أن تُدْفن فإنَّهُ يرْجِعُ بقيراطٍ"[2].

شبه النّبي ﷺ القيراط من الأجر بجبل أُحد ووجه الشبه هنا محذوف للعلم به، فالقيراط قيمته غير معروفة لذلك حاول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلّم أن يقرب إليهم الصورة العقلية بصورة حسية يعلمونها ويعرقون عظمتها وهي جبل أحد وهو تشبيه تمثيلي، والبعد الحجاجي لهذا الحديث هو تحفيز الهمم لدى المخاطبين للقيام بالعمل المطلوب، وإقناعهم بإتيان الجنائون لهذا ذكر الأجر العظيم الذي يظفر به تابع الجنازة وتمثيله بجبل أحد، والذي يعتبر انجازا مربحاً، ونتائج عظيمة لعمل بسيط لا يكلف المرء مشقة مالية أو جسدية في وقتنا الحالي مع توفر وسائل النقل الحديثة وبالتالي تعتبر هذه النتائج حججا براغماتية في حد ذاتها حسب تصنيف بيرلمان PERELMA N، فهي تعطي للعمل قيمته، وبالتالي تمكن المخاطب من آداء العمل بناءاً على نتائجه الايجابية والتأكيد ذلك ب (إنه) على جوابه، لزيادة

[1] بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، ص219.
[2] ابن حجر فتح الباري الجزء الأول، كتاب الإيمان، رقم الحديث 47، ص145.

التأكيد على الأجر، كما أن اتباع الجنازة حتى دفنها فيه مواساة لأهل الفقيد وتوطيد العلاقات الإجتماعية والأسرية، وبعث المودّة والرحمة بين أفراد المجتمع.

د. التشبيه المفصل وحجاجيتهُ: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه مع ركني التشبيه[1].

الحديث رقم 4:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "بادِروا بالأعمالِ، فتناً كقطع اللّيل المظلم، يُصبحُ الرّجلُ مؤمناً ويُمسي كافراً، أو يُمسي مؤمنا ويُصبحُ كافراً، يبيع دينهُ بعرضٍ من الدنيا"[2].

شبه الفتن في هذا الحديث بقطع الليل ووجه الشبه هو الظالمة،والظلمة علامة على الشر وشدة هول الأمر، والوظيفة الحجاجية لهذا التشبيه هو دعوة المسلمين وحثهم على المبادرة والسعي إلى صالح الأعمال قبل تعذرها، والاشتغال بغيرها بما يحدث من الفتن الشاغلة، المتراكمة كتراكم ظلام الليل العاتم، ووصف النبي ﷺ حال المؤمن بعد أن يبتلى بتلك الفتن، وهو أن يصبح الرجل مؤمنا ثم يمسي كافرا أو عكسه وهذا لعظم الفتن والشدة التي يعانيها المسلم في الحفاظ على دينه، فينقلب الإنسان في اليوم الواحد كل هذا التقلب "فالمبادرة المسارعة بإدراك الشيء قبل فواته أو بدفعه قبل وقوعه (يصبح الرجل مؤمنا) أي موصوفا بأصل الايمان أو بكماله (ويسمى كافراً) وقيل المعنى يصبح محرما ما حرمه الله، ويسمى مستحلا إياه وبالعكس"[3].

فوقع الاستدلال بواسطة التمثيل والتشبيه المفصل في تبيانه المفصل لعبارة (قطع الليل المظلم) بقوله (يُصبحُ الرجل مؤمنا ويسمى كافرا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا). فمثل الفتن وما يقع منها من تظليل وتعتيم على قلب الإنسان ب (قطع الليل المظلم)، ووجه الشبه هنا هو الارتباك ولتقريب الصورة المجردة للفتن، فهذه الحجج يمكن تصنيف بعضها ضمن الحجج السببية لأن الفتن هي سبب للكفر وخروج المرء عن دينه أما البعد الحجاجي للحديث إجمالا التحذير من الفتن وبيان خطورتها على الناس.

ه- التشبيه البليغ وحجاجيته:

جاء في تعريف التشبيه البليغ: "ما حذف منه وجه الشبه والأداة، وهو من أبلغ أنواع التشبيه، لأنه يجعل من المشبه والمشبه به لحمة واحدة لا تتفصل وغياب الأداة ووجه الشبه

(1) آدم الثويني، البلاغة العربية، المفهوم والتطبيق، ص268.
(2) مختصر صحيح مسلم، كتاب الايمان، ص 77-78.
(3) محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي، بشرح جامع الترميذي، الجزء الخامس، ص483.

يفتح الباب أمام الذهن للتطلع إلى استكشاف جميع الصفات الممكنة بين الطرفين، وسمي بليغا لما فيه من مبالغة في اعتبار المشبه عين المشبه به[1]" .

الحديث رقم 5:

وقد ورد تشبيه بليغ في قول الرسول "ﷺ" عن تميم الدّاري أن النبي ﷺ قال "الدينُ النّصيحةُ، قُلنا: لمن يَا رسول الله، قال: لله، ولكتابه، ولرسولهِ، ولأئمة المسلمين وعامّتهم[2]".

ورد تشبيه بليغ في قوله "الدّين النصيحة" حيث جعل الرسول ﷺ الدين والنصيحة لحمة واحدة لاتساع معنى هذه الكلمة واشتمالها على جل أغراض هذا الدين، وفي شرح سنن الترميذي (الدّين النصيحة) "أي عماد الدين وقوامه هو النصيحة (ثلاث مرار) أي ذكرها ثلاثا للتأكيد بها والاهتمام بشأنها ... قال الجزري في النهائية، النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها... ومعنى نصيحة الله صحة الاعتقاد في وحدانيته، واخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتاب الله هو التصديق به والعمل بما فيه، ونصيحة رسول الله التصديق بنبوته ورسالته والانقياد بما أمر به، ونهى عنه، ونصيحة الأئمة أن يطيعهم في الحق ولا يرى الخروج عليهم إذا جاروا، ونصيحة عامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم[3] "

فهذا التشبيه البليغ كان مجملا شكلا ومضمونا، وهذا يزيد من فضول السامعوشوقه إلى الغوص في مكنونه، وتدبر معانيه، والتساؤل عن سبب حصر الرسول ﷺ للدين على اتساعه وتشعب العبادات فيه، في كلمة واحدة وهي النصيحة، حيث "كررت في بعض الروايات ثلاث أذهانهم لأهمية هذا الكلام، ولا شك أن هذا أوقع في النفس وأشد رسوخاً في الذهن[4]".

و- التشبيه الضمني وحجاجيته:

التشبيه الضمني "هم نوع من التشبيه لا يأتي على الصورة المعهودة من حيث ذكر عناصره بصورة صريحة، بل يلمح من خلال الكلام، ويفهم ضمناً من غير ذكر ولا تصريح بالتشبيه[5]".

الحديث رقم 6: عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما مِنْ ثلاثة في قرية، ولا بدوٍ، لا تُقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذّئب من الغنم القاصية[1]".

---

(1) بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، 220.
(2) مختصر صحيح مسلم، كتاب الايمان، رقم الحديث 55، ص55.
(3) عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترميذي، الجزء السادس، ص52.
(4) محمد بيلو أبو بكر، من بلاغة السنّة، ص66.
(5) بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، ص223.

وقد جاء في شرح هذا الحديث في سنن أبي داود في قوله (لا تقام فيهم الصلاة) "فإن المراد فإقامة الصلاة إقامة الصلاة بالجماعة، وإلا فيمكن أن يحمل الأمر العام من الأعمال والإعتقاد أي إلزم الجماعة في جميع الأعمال والأحوال والاعتقادات، ويدخل فيه الصلاة بالأولى[2]"، وفي قوله (إلا استحوذ عليهم الشيطان) أي غلبهم واستمالهم إليه، وفي قوله (فإنما يأكل الذئب القاصية) أي الشاة البعيد عن القطيع، واستعمل القصر في قوله (إلّا)، في هذا السياق ليدقق ويلغي بقية الاحتمالات.

فالعبرة تكمن في هذا التمثيل، فالصورة البيانية فيها حجاج ضمني يحث المسلم على التزام الجماعة في حياته، وعباداته بما فيها إقامة الصلاة جماعة ، وهذه الحجة سببية تعتمد العلاقات المؤسسة لبنية الواقع، حسب تصنيف بيرلمان Perelman.

ز- التشبيه التمثيل وحجاجيته:

أما التشبيه التمثيلي فقد ورد في مصحف القزويني بأن: "التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور[3]"، هو تشبيه مركب، يقوم عل التعدد في وجه الشبه.

الحديث رقم 7 قال ﷺ:

"مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحُها طيّب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التّمرة لا ريح لها وطعمها حلوٌ ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرٌّ ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلةِ ليس لها ريحٌ وطعمها مرٌّ[4]."

فهو تشبيه تمثيل لأنه منزع من صورة مركبة هي الريح والطعم ونشير هنا إلى أهمية التمثيل في المسار الحجاجي، حيث اعتبره عبد السلام عشير "طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة لها أن تكون مترابطة[5]،" وفي هذا السياق ترى أميمة صبحي أن بنية التمثيل تعقد الصلة بين بنيتين وليس بين ملفوظتين كالبنية الاستعارية، إذ تتشابه عناصر كل بنية منها مع عناصر البنية الأخرى فالتمثيل بنية قائمة على المشابهة بين العناصر[6].

---

(1) أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، كتاب السنة .. تحقيق محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، الجزء الأوّل، رقم الحديث 548، ص411.

(2) أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، كتاب السنة، الجزء الأول، ص411.

(3) القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ص190.

(4) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، الجزء التاسع، كتاب الأطعمة، رقم الحديث 5427، ص634.

(5) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص97.

(6) أميمة صبحي، حجاجية الخطاب في ابداعات التوحيدي، ص177.

فالمؤمن قارئ القرآن: حلو الطعم، وهذا أمر باطني قاصر على الذات، إذ الإيمان قاصر على العبد، وطيب الرائحة، لأن قراءة القرآن يتعدى نفعها إلى السامع فيصير القارئ بمنزلة ناشر الريح الطيب فيمن حوله، والرائحة تتعدى دون تذوق، بخلاف الطعم فإنه لا يتعدى إلا بمباشرة الطعام.

ويقصد هنا التعامل مع المؤمن يكشف عن صدق سريرته والانتفاع منه، وهذا أعلى درجات الانتفاع، وأما المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كالتمرة: فالايمان قد أطاب طعمه فصار حلوا كالتمر ولكن نفعه قاصر على نفسه ولا ريح طيب له يجده من حوله، وأمّا المنافق الذي يقرأ القرآن: فهو يبث ريحا طيبة فيمن حوله، وإن كان مر الطعم، فتصل بركة قرآنه إلى من حوله، وإن لم يستفد هو منها الخبث جوهره.

وفي الأخير ذكر المنافق الذي لا يقرأ القرآن، فطعمه مر في نفسه ولا ريح جميلة ينتفع به غيره.

3- المجاز وحجاجيته:

ألفت العرب باستعمال المجاز في كلامها وأدبها لمكانته وميزته وقوه تأثيره، فوجدنا شعرهم ونثرهم مشحونا به، كما ألقيناه في القرآن والأحاديث النبي ﷺ كما سنتطرق إليه بالدراسة، من جوانبه الحجازية.

لقد اجتهد الكثير من البلاغيين في تعريف المجاز والتفصيل في قضاياه هو من أهم ما قيل ما جاء في أسرار البلاغة حيث جعل الجرجاني المجاز في "كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز وفي موضع آخر يقول: وإن شئت قلت في موضعه وقوعا لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة.[1]

أما إبن الأثير فيرى "أن كل مجاز فله حقيقة لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة له، إذ المجاز هو اسم للموضع الذي ينتقل فيه من مكان إلى مكان، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من حقيقة إلى غيرها... وكذلك فاعلم أن المجاز أولى باستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة لأنه لو لم يكن كذلك كانت الحقيقة التي هي الأصل أولى منه، حيث هو فرع عليها وليس الأمر كذلك، لأنه قد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 350، 352.

الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير، حتى يكاد ينظر إليه عيانا"[1] .

ولقد أجمع البلاغيون على أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح وأن الاستعارة مزية وفضلا، وأن المجاز أبدا ابلغ من الحقيقة.[2]

لقد اشترط البلاغيون في هذا الوضع وجود قرينة مانعة ولهذا قال سكاعي في المجاز "الكلمة المستعملة في المعنى معناها بالتحقيق استعمال في ذلك.

بالنسبة إلى نوحي حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النّوع[3] لذلك نجد القرآن الكريم قد خاطب الناس بشتى ألوان الكلام ما بين الحقيقة والمجاز والتشبيه تارة والإستعارة تارة أخرى، حسب المقام وحسب حال المخاطبين في ذلك الزمان، فكانت كل أساليبه بليغة حتى وإن كانت على الحقيقة المباشرة بفضل تخير اللفظ وحسن السبك، وغزارة المعاني، ويفرق إبن جني بين الحقيقة والمجاز بقوله: "الحقيقة: ما أقرّ في الإستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز: ما كان بضد ذلك وإنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الإتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"[4].

الحديث الشريف رقم 8:

[1] إبن الأثير، المثل السائر، الجزء الأول، ص72.
[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص70.
[3] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 360.
[4] إبن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، الجزء الثاني، 1999، ص 444.

ورد عن عمر أن الرسول ﷺ قال" **الأعمال بالنيّة ولكلّ إمرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته للدنيا يصيبها أو إمرأة يتزوّجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**"[1].

ورد المجاز في هذا الحديث في قوله "دنيا يصيبها"، وهو مجاز عقلي فالإصابة تكون للسهم، ويصيبها في هذا السياق بمعنى يحصلها، لأن تحصيلها كإصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود، والدنيا هنا المال والتجارة، والرزق، والمرأة من الدنيا ولكنه قصّها بالإهتمام للزيادة في التحذير، لأن الإفتتان بها أشد، فقد إنتقل من العام إلى الخاص، والبنية الحجاجية تتمحور حول ضرورة ّإقتران البنية بالأعمال، لأن السياق يقتضي أن الجزاء على العمل مرتبط بنية المرء وليس بظاهر العمل، فهو معقود عليها، وصلاح العمل بصلاح النية والهجرة هي الإنتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام فأخبر النّبي صلّى الله عليه وسلّم أن من هاجر إلى دار الإسلام حبا الله ورسوله ورغبة في إظهار دينه حيث كان يعجز عنه في دار الشرك فهذا هو المهاجر إلى الله ورسوله حقا، ومن كان مهاجرا لغرض التجارة وجمع المال وطلب الرزق أو نكاح إمرأة فهذا مهاجر لأجل الدنيا ويبقى أجره على الله، لأنّ الهجرة كانت بأمر الله للفرار بدينهم وليس لطلب مسألة دنيوية.

واستعمل النبي صلّى الله عليه وسلّم أداة الشرط (من) وهي تستعمل للعاقل على الإطلاق فجعل كل من كانت هجرته إلى الله ورسوله تقتضي نتيجة واحدة هي الهجرة إلى الله ورسوله والمعنى المستلزم من النتيجة هو الظفر بأجر الهجرة إلى الله ورسوله، والشرط الثاني (من كانت هجرته لدنيا يصيبها) يقتضي نتيجة واحد هي (هجرته إلى ما هاجر إليه) أي أجره من ما أصاب من الدنيا والطاقة الحجاجية التي تحملها لفظة (يصيبها) وحي بإنتهاء القصد بعد تحقق الفعل، ونفعه لا يتعدى المنفعة الشخصية الدنيوية والأمر في النهاية عائدا إلى النية كما بيّن أنفا وفقا للعلاقة السببية التي جمعت الحجة بالنتيجة فالحجة تصنيف بيرلمان Peralman.

[1] إبن حجر، فتح الباري، الجزء الأول، كتاب الإيمان، رقم الحديث54، ص 178.

4- الاستعارة وحجاجتها:

الإستعارة عند العسكري هي: "نقل العبارة عن إستعمالها في أصل اللغة إلى غريه لغرض[1]، وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بماوضح له، وقد تقيد بالتحقيقية لتحقق معناها حسا أو عقلا...فيقال: إنّ اللفظ نقل مسماه الأصلي، فجعل إسما له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه أمّا حسي فكولك: أبديت نورا وأنت تريد حجة، فإن الحجة ممّا يدرك بالعقل من غير وساطة حس.[2]

وفي ذكر ميزتها يقول القزويني: " وفضل هذه الإستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع ولا تفعل الحقيقة[3] وهذا التأثير الساحر هو مبتغى كل خطيب، ومراد كل محاج، وقصد كل متكلّم في أية عملية تواصلية مع الغير.

فالإستعارة في قول الله تعالى: " يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ"[4]، أبلغ وأحسن وأدخل مما قصد له من قوله لو قال: يوم يكشف عن شدة الأمر، وإن كان المعنيان واحد..

قسم البلاغيون الإستعارة إلى أقسام كثيرة، وذلك بالنظر إلى جوانب مختلفة فيها، وقد كان حرص البلاغيين على الإكثار من هذه التقسيمات من أجل زيادة الإيضاح وبيان الفروق الحقيقية بين أنواعها المختلفة.

ولكن ينبغي أن تكون عناية الدراس منصبة على الكشف عن مواطن الجمال في الإستعارة، وبيان الغرض الحجاجي الذي هدفت إليه، حيث تقوم حجاجية الإستعارة عند عبد القاهر على مفهوم الإدعاء، فالإستعارة ليست حركة في الألفاظ، وإنما هي حركة في المعاني والدلالات، هي ليست بديعا بل هي طرق الإثبات الذي يقوم على الإدعاء.[5]

---

[1] العسكري، الصناعتين، ص240.
[2] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 212.
[3] المرجع نفسه، ص 241.
[4] سورة القلم، الآية 42.
[5] أحمد أبو زيد، الإستعارة عند المتكلمين، مجلة المناظرة، العدد 4، ماي 1991، ص46-47.

وتنقسم الإستعارة بحسب طرفيها المشبه والمشبه به إلى قسمين تصريحية ومكنية.

أ- الإستعارة التصريحية وحجاجيتها:

تعدّ الإستعارة تشبيها حذف أحد طرفين، وقد عرفنا من قبل أن طرفي التشبيه هما المشبه والمشبه به فإذا حذف المشبه سميت الإستعارة تصريحية، لأن تصريح بلفظ المشبه به[1] وتعني حجاجية الإستعارة أن " لها وظيفة مركبة يرتبط فيها العقل بالإحساس والفكري بالتفشي، فالإستعارة تسعى إلى أحداث قطعية وقلب إنتظارات ومفاجأة توقعات وإعادة النظر في نظام الخطاب، وبهذا تسمح في الوقت نفسه بالإحساس والتفكير،... كأنّ هناك خاصية نفسية إنفعالية تلازم القول الإستعاري، فالإستعارة لا تسمح بأن يشارك المتلقي متكلمّه في الفكرة أو في الدعوى التي يدّعيها فقط بل هي تدفعه إلى أن يشاركه إحساسه وإنفعاله.[2]

الحديث رقم 9:

عن أبى هريرة عن النّبي صلى الله عليه وسلّم قال: "إنّ الدّين يُسّرَ ولن يشاد الدّين أحد إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا وإستعينوا بالغدوة والدّوحة وشيء من الدّلجة "[3].

جاء في شرح العسقلاني: "المشادّة بالتشديد المغالبة، يقال شادّة يشادّه مشادّة، أقواه والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب[4] ومعناه: استعينوا على طاعة الله عزّ وجل بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم، حيث تستلذون العبادة ولا تسأمون.

[1] بن عيسى بالظاهر، البلاغة العربية، ص 256.
[2] حسن المودن، حجاجية المجال والإستعارة، مقال في كتناب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الثالث، إعداد حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص 166.
[3] ابن حجر، فتح الباري، ج1، كتاب الإيمان، رقم الحديث39، ص 117.
[4] المصدر نفسه، ج، كتاب الإيمان، ص 118.

وهنا إستعارة في قوله لن يشاد الدين أحد إلا غلبه، كأننا نتحدى رجلا ونتقاوى عليه فيغلبنا ضمنيه إلى التحلي بالإعتدال في إتيان الفرائض والنوافل، والوسطية في تطبيق الأحكام الفقهية وإختيار أيسرها مالم يكن حراما. لقوله صلّى الله عليه وسلم في حديث آخر عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خير رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلّى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها"[1].

وفي كلا الحديثين حيث على ترك الأخذ بالعسير من الأمور وقول الأيسر متهما ما أمن على نفسه الإثم، والأخذ بالرخص متى إستدعت الضرورة، وذلك لرفع الحرج عن الناس، ومواصلة إتيان العبادات مهما تغيرت الأحوال وتعسرت على المؤمن، لأن التشديد على النفس بأخذ الأصعب والأشق سيرهقهما، وما تفتأ أن تنهار شعلة الحماس وتركن إلى الملل، والإنقطاع.

لذلك جاء التأكيد من النّبي صلّى الله عليه وسلم بإستعماله الأداة (إنّ) ولفظ القصر والحصر (إلا) التي أفادت حصر الإختيارات أي انه مهما شدد الإنسان على نفسه في أداء الفرائض والنوافل وحرص على ذلك في جميع أوقاته وأحواله في الصحة والمرض، في الشدة والرخاء فإنه لن يتمكن من ذلك وسيعجز عن مواصلة ما بدأه، وهذا ما قصده بقوله (إلا غلبه" والمقتضى المتحقق هنا عجز المتعبد المتشدّد في الدّين عن المواصلة والإنقطاع عما بدأه، فعلاقة الإقتضاء هنا ربطت بين السبب والنتيجة التي تلزم عنه.

لقد جاء الكلام مؤكدا بعدة مركّدات والتوكيد بأنّ مع اللام وبالقصر وربما يتكافئان من حيث درجة التوكيد فكلاهما... لهما هذه الوظيفة الحجاجية من جهة الاقتضاء الذي يكسبه التوكيد للجملة فهو إذا يؤكد المنطوق توكيدا مضاعفا يؤخر لحظة إعتراض السامع على القضية التي يعرضها هذا المنطوق. ونكة ذلك أنّ القضية تحوّل بواسطة التوكيد مثنى إلى

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 305.

مقتضى يجعل إستئنافها والتعقيب عليها قد فات أوانها إنه يعرض الأمثلة على النفي والإستفهام يتبيّن لنا أنه د فات أوان الإعتراض على المقتضى.[1]

ب- الإستعارة المكنية وحجاجيتها:

وتسمى أيضا "الإستعارة بالكناية"، وهي التي حذف فيها المشبه به وذكر المشبه، ولكن لابد أن يدل على المشبه به شيء، من صفاته ولوازمه"[2]

بينما يركز شوتي ضيف في الإستعارة بالكتابة على أن وظيفتها في الخطاب لا تستمده من المشابهة في قوله: "إن الإستعارة المكنية لا تقوم على التشبيه وإنّما تقوم على بث الحياة والحركة في المشبّه لغرض المبالغة"[3] والمبالغة في الحديث لا تكون إلا لأمر جلل، إستوجب المبالغة لتنبيه المتلقي إلى أهميته وجعله يعيش الصورة ويعايش الحديث الذي خلقته في ذهنه ، ونمثل لذلك بما ورد على النبي صلّى الله عليه وسلّم في الحديث التالي:

الحديث رقم10 :

فمن ذلك قول النبي صلّى الله عليه وسلّم عن إبن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله وسلّم: بُني الإسلام على خمس (بُني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدّا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحجّ وصوم الرمضان).[4]

فالإستعارة في قوله (بني) ، حيث شبه النبّي صلّى الله علّيه وسلّم الإسلام بالبناء، ولكّنه حذف المشبه به، وأبقى على شيء من لوازمه وهو لفظ (بنى) والعلاقة الكمال وتماسك الأجزاء، وهي من "الأحاديث التي إشتملت على التجريد في الإستعارة، لأن قوله صلى الله عليه وسلّم المفضل لأركان الإسلام يعد تجريدا للإستعارة، لأن هذه الأركان بدءا من شهادة أن لا إله إلا الله... مما تلائم المشبه الذي هو الإسلام وبها يعرف المسلم[5]، ونقول في شرح

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص305.
[2] بن عيسى بالطاهر، البلاغة العربية، ص 256.
[3] شوقي ضيف، البلاغة العربية، ص256.
[4] ابن حجر فتح الباري، الجزء الأول، كتاب الإيمان، رقم الحديث8، ص 63.
[5] فالح الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص 233.

الحديث: "إن الله عزّ وجل حكيم، حيث بنى الإسلام العظيم على هذه الدعائم الخمس من أجل امتحان العباد... فتنوعت هذه الدعائم الخمس على هذه الوجوه تكميلا للإمتحان لأن بعض يسهل عليه أن يصلي، ولكن يصعب عليه أن يصوم[1].

فالإسلام دين له أسس ودعائم يكمل بعضها بعض، فإذا إنهارت إحدى دعائمه إنهار البناء كلّه، فالمرء لا يصح إسلامه حتى يأتي بكل هذه الدعائم التي تعتبر فرائض واجبة، حتى يكتمل دينه ويقوى إيمانه، فتحل لنا موالاته، وإئتمانه على مصالح المسلمين، فهما استعارة مكنية استوفت المعنى وقدمته متماسكا قويا يشد بعضه بعضا كما تشدّ الأوتاد أجزاء البناء، وحجاجيتها من قبيل حجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، وهي من صنف الحجج شبه المنطقية حسب بيرلمان Perelman.

الحديث رقم 10:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبة للغرباء".**[2]

وفي الحدث إستعارة مكنية، والإستعارة في قوله (غريبا) وهذا الكلام من محاسن الإستعارات وبدائع المجازات لأنه عليه الصلاة والسّلام جعل الإسلام غريبا في أول أمره تشبيها بالرجل الغريب الذي قلّ أنصاره، وبعدت دياره، حيث كان الإسلام على هذه الصورة في بدء ظهوره، ثم استقرت قواعده، واشتدت معاقده، وكثر أتباعه وقوله (سيعود غريبا) " أي يعود إلى مثل الحال الأولى في قلة العاملين بشرائعه والقائمين بوظائفه".[3]

حيث شبه النبي صلّى الله عليه وسلّم الإسلام بالرجل الغريب، الذي بعدت بلاده، وقل أصحابه وأحبابه، فقد كان الإسلام في أول أمره على هذا النحو من الغربة، وسيكون كذلك في آخر الزمان، حيث سيقل أتباعه، ويكثر أعداؤه، ويكون الممسك بدينه الداعي إلى الله المصلح لأحوال النّاس محاربًا غريبا فهنا استعار لفظة الغريب التي يختص بها الإنسان

[1] محمد بن صالح العثيمين، شرح الأربعين النووية، ص 70، 71.
[2] مختصر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث145، ص90.
[3] محمد أحمد سحلول، من بلاغة الحديث النبوي، ج1، ص6.

وجعلها للدين دون ذكر وجه المشبه به وهو الرجل الذي يفهم من لوازمه وهو الإغتراب والغربة فحذف المشبه به يستدعي إعمال الخيال والعقل مع للوقوف على حقيقته.

5- الكناية وحجاجيتها:

ورد مفهوم الكناية عند العسكري ، ما نصه الكناية وهو أن يكنى عن الشيء ويعرّض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء"[1] قال تعالى: «يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا »[2] ففي هذه الآية كناية عن شدة الندم في قوله "لو تسوى بهم الأرض"

وفي فائدة الكناية يرى العلماء أنّ الكناية أبلغ من التصريح، ففي العدول إليها لابد من فائدة قد تكون هذه الفائدة المبالغة أو الرغبة في العدول عما يفحش ذكره صريحا، أو التعبير عن حال معينة، أو عن صاحب الحال أو غير ذلك، ومن العلماء الذين أشاروا إلى هذه الفوائد، محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك، الذي ذكر بعضها قائلا: "لا يترك التصريح بالشيء إلى الكناية عنه في بليغ الكلام إلا لتوخي نكتة، كالإيضاح، أو بيان حال الموصوف، أو الستر أو الصيانة أو القصد إلى المدحأو الذم، أو الإختصار، أو التعبير عن الصعب بالسهل، أو عن الفاحش الظاهر، أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن.[3]

قال النبي ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسنه ويده"[4]، الكناية في قوله (لسانه ويده) عن السب والشتم وما قبح من الكلام الذي يلحق ضرارا بالمسلم، واليد كناية عن البطش كالضرب والسرقة وغيرها من الأفعال المشينة "قوله (أي الإسلام إن قيل الإسلام

[1] العسكري، الصناعتين، ص 335، 334.
[2] سورة النساء، الآية42.
[3] الرافعي أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير عن حجة رسولي، صور الكناية في الكلام النبوي الشريف، إضاءات نقدية، مجلة فضيلة، العدد 9 ربيع 1392ه، 2013، ص 52.
[4] إبن حجر، فتح الباري، الجزء الأول، كتاب الإيمان، رقم الحديث11، ص70.

مفرد، وشرط أي تدخل على متعددّ، أجيب بأن فيه حذفا تقديره: أي ذوي الإسلام أفضل ويؤيده رواية مسلم، أي المسلمين أفضل، والجامع بين اللفظين أن أفضلية المسلم حاصلة بهذه الخصلة".[1]

وفي الحديث توجيه لسلوك المسلم إلى مكارم الأخلاق، وذلك بإيجاد علل منطقية يقبلها العقل وتميل إليها النفس، فكانت هذه الصورة البيانية جامعة بين الإقناع والإمتاع وتنفير فعل شنيع بقول لطيف، ويؤكد في هذا السياق هنريش بليث« Henrich Beleith » أنّ الغرض الحجاجي للبلاغة يتمثل في جعل موضوع الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل، يمكن أن يتحقق هذا الغرض المادية المعتمدة على الوقائع الموضوعية (العقود والشهادات) وعلى الخلفية العامة المكوّنة من آراء المجتمع (الأخلاق مثلا)...والغرض من ذلك جعل غير المحتمل وغير الأكيد أكيدا.[2]

والسياق يقتضي وجود علاقة سببية بين اليد واللسان اللذين يسببان الأذى والضرر الآخرين، فالحجة هنا سببية غائبة حسب تصنيف بيرلمانPerelman والدعوة الضمنية التي تضمنها الحديث هي نهي عن إيداء المسلمين عامة، وإحلال الأمن والسّلام فيما بينهم، ولهذا يعد حجاجي آخر يتمثل في الأثر الذي سيتركه هذا السلوك وهو تقديم صورة حسنة للإسلام لغير المسلمين، فيساهم بنشر دينه عن طريق حسن خلقه وسلوكه.

ويرى حافظ إسماعيل علوي أن الهدف من الأساليب البيانية أو الصور البلاغية عموما "ليس مجرد إقامة علاقات عقلية بين مشبه ومشبه به أو إفتراض أقيسة منطقية بين حقيقة ومجاز. إن الصورة البلاغية وسيلة الشاعر أو الأديب أو المتكلم ليعبر بها عن حالات لا يمكن له أن يتفهمها أو يجسدّها بدونها، فهي الوحيدة القادرة على تقديم المعنى الذي يرومه و الحالة التي يعيشها، بل هي المخرج الوحيد لشيء لا ينال بغيرها أو هي ترتبط بمستوى

[1] إبن حجر، فتح الباري، الجزء الأول، كتاب الإيمان، رقم الحديث11، ص 77.
[2] هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، نحو نمودج سيمائي لتحليل النص، ت محمد العمري، إفريقيا للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999، ص25.

التجربة الفنية التي يعايشها فتحتضن هذه المشاعر وتعايشها وتقدمها في قالب جميل تعجز اللغة العادية أن تصل إلى مستوى هذه الأساليب.[1]

إلا أن جابر أحمد عصفور له وجبهة نظر مخالفة لما أجمع عليه علماء البلاغة قديما والباحثون في جواهرها حديثا، فهو يرى أنّه عندما تستخدم الصورة لتحقيق النفع المباشر فإنها تهدف إلى إقناع المتلقي بفكرة من الأفكار أو معنى من المعاني، وفي هذه الحالة لا تصبح صورة الوسيط الأساسي الذي يجسد الفكرة، بل تصبح الفكرة في جانب والصورة في جانب آخر، والإقناع له أساليبه المتنوعة تبدأ بالشرح والتوضيح وتقترن بالمبالغة وتتصاعد إلى أن تصل إلى التحسين والتقبيح.[2]

إلا أن وظيفة الصورة وأهميتها في الخطاب الحجاجي تجلت في كلّ الأحاديث التي مرّت معنا وفي جل الدراسات البلاغية الإقناعية على إختلاف مدونات الدراسة، أنها يمكن أن تتمثل في الطريقة التي تفرض علينا نوعا من الإنتباه للمعنى الذي تعرضه، وتفاجئنا بطريقتها في تقديمه، هنالك معنى مجرد إكتمل في عينة من الصورة، ثم تأتي الصورة فتحتوي الصورة ذلك المعنى أو تدل عليه، فتحدث فيه تأثير متميزا وخصوصية لافتة، ذلك أنها تعرضه كما هو في عزلة وإكتفاء ذاتيين، وإنها تعرضه بواسطة سلسلة من الإشارات إلى عناصر أخرى متميزة عن ذلك المعنى... وبهذه الطريقة تفرض الصورة على الملتقي نوعا من الإنتباه واليقظة، ذلك أنّها تبطئ إيقاع إلتقائه بالمعنى، وتنحرف إلى إشارات فرعية غير مباشرة لا يمكن الوصول إلى المعنى دونها، وهكذا ينتقل المتلقي من ظاهرة المجاز إلى حقيقته، ومن ظاهرة الإستعارة إلى أصلها ومن المشبه به إلى المشبه ومن المضمون الحسي المباشر للكناية إلى معناها الأصلي المجرد.[3]

والحذف عند العرب "أبلغ من الذكر لما لديه من قدرة لا تنكر في خلق تعددية المعنى، وهو لا يتحقق في الحالة الثانية، أي الذكر فإن للحذف كذلك قدرة أخر لا تقل عن الأولى في

[1] حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات، عام استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص573.
[2] جابر أحمد عصفور، الصورة الحديثة في التراث النقدي والبلاغي، ص 332.
[3] فالح الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص 43.

القوة على التأثير في الملتقى[1]، فإن كان الإفصاح يقضي إلى المعنى ذاته إلا أن المتكلم يقضي المتلقي من التفاعل مع خطابه بعد أن يكشف معناه، وعندئذ يتعلق النص بالإفصاح عن معناه ولا يستدعي تأويلا على خلاف موقع الحذف.[2]

والحديث يتضمن دعوة غير صريحة تفهم من سياق الكلام في قوله (طوبى للغرباء) وهذه "دعوة للتمسك بالإسلام ونيل العزة في ظله أولا وآخرا[3]، فالمسلم غريب في ذلك الزمان مضطهر منبوذ، فالبشرى للمسلمين الصابرين، والخير بهم جزاء تمسكهم بدينهم رغم الأذى الذي كان يحصل لهم من أذى الدّنيا كانوا يعوضون عنه عاجلا من الإيمان وحلاوته ولذته ما يحتملوزن، وكان أعداءهم يحصل لهم ومن الشر أضعاف ذلك من غير عوض لا آجلا ولا عاجلا إذا كانوا معاقيين بذنوبهم[4].

وهنا الحجة هي حجة التجاوز أي تجاوز الصعاب لبلوع الغاية وهي من الحجج المؤسسة على بنية الواقع حسب بيرلمانPerelman ، فالواقع هنا هو الشاهد على هذا التنبؤ، وهو الذي سيحدد وضعية الإسلام والمسلمين في آخر الزمان كما قدرها المولى عزّ وجل منذ الأزل.

[1] عبد القادر زروقي، الإستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت، قراءة في حجاجية الحذف في القرآن الكريم، مجلة فصل الخطاب، جامعة إبن خلدون، تيارت، المجلد الثاني، العدد 7، سبتمبر 2014، ص11.
[2] المرجع نفسه،ص 14.
[3] فاتح الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، ص 230.
[4] ابن تيمية، علم الحديث، ص 977.

خاتمة

خاتمة

حاولنا من خلال هذا البحث أن ندرس الأساليب و الآليات و التقنيات المعتمدة في الحديث النبوي الشريف والتي مكنته من إقناع المخاطبين بالعدول عن عقائدهم الفاسدة و بعض أخلاقهم و شرائحهم الجائرة ، باستعمال أدوات النظرية الحجاجية و الأساليب البلاغية وذلك وفق منظورين إثنين : أحدهما تراثي و الآخر حداثي ، و قد أفضت الدراسة إلى جملة من النتائج تعد بمثابة استنتاجات توصلت إليها من خلال هذا البحث يمكن تلخيصها فيما يلي :

- أنّ الحجاج فعل لغوي غائي ، يتحقق بين ذوات فعالة و نشيطة يسعى المرسل من خلاله حمل المتلقي على الإذعان ، و السعي إلى إقناعه بشتى الآليات المختلفة حسب المقام .
- غنى الأحاديث النبوية بضروب من الأساليب الخبرية التي جاءت مناسبة لمقاصد الدعوة النبوية في التعليم و إرشاد و وعظ و توجيه ، حقق عنصر في التأثير و الإقناع و التثبيت لمقاصد الشريعة الإسلامية .
- تقسيم الكل إلى أجزائه مكونة له، من أكثر التقنيات الحجاجية الواردة في الأحاديث النبوية ، وذلك راجع لغرضي الإبانة و التوضيح للناس و إجلاء كلّ غموض أو لبس يعيق تطبيق أحكام الدّين بالطريقة الصحيحة .
- تضمنت العديد من الأحاديث النبوية طرائق العرب في التحسين اللفظي و المعنوي ، مراعاة لطبعهم المحب للمخرج السهل و المسمع الجميل ، و المتلذذ بطلاوة الكلام و حلاوة المعنى .
- غنى الخطابات النبوية بالصور البيانية من تشبيه و تمثيل و إستعارات بديعية و كنايات غاية في الدقة والرقي ، ما جعلها تمد المعنى بشحنة إقناعية نضاهي في تأثيرها و قيمتها الأدلة و الحجج الصناعية، التي يقدمها الفلاسفة على الصور البلاغية باعتبارها عنصر مخادعا في الخطاب .
- جاءت المحسنات البديعة في الأحاديث النبوية طالبة للمعنى خادمة له ، بعيدة عن التكلف و التراكم الذي لا طائل منه ، حيث استوفت المعاني و الأغراض الحجاجية التي سيقت لأجلها .
- خلو الخطاب النبوي من كلّ أنواع الحجج المغالطة كالحجاج بالسلطة أو القوة ، أو القياس المغالط وغيرها من الأقيسة الفاسدة ، و الإعتماد على الحجاج الصادق السليم في شكله و مضمونه و أغراضه ذلك لأنّ غايته ليست الغلبة أو التحقيق مصلحة دنيوية لنفسه ، بل كانت غايته تبليغ الرسالة، و إقامة شريعة الله في الأرض و تبشير المؤمن و تثبيت إيمانه ، و إقناع الشاك و قطع الحجة على المعارض .

وبما أنّ الكمال صفة متعلقة بذات الله تعالى وحده لا غير سواه بودّنا أن نعتذر و كأي باحث عن أي نقص صدر منّا سهوا أو تقصيرا أو خطأ ،وحسبُنا أننا أخلصنا الجهد. و أسأل الله تعالى أن يوفقنا و قاريء هذا البحث و يسدد خطأنا ويجعلنا في خدمة الصالح العام

قائمة المصادر والمراجع

1) القرآن الكريم:

2) المصادر:

- **مدونة الحديث النبوي الشريف.**

3) المراجع:

1. ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه كامل محمد عويضة، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1997.
2. أميمة صبحي، حجاجية الخطاب في ابداعات التوحيدي، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2015.
3. ابن تيمية، علم الحديث، تحقيق وتعليق موسى محمد علي، دار الفكر الجزائر، الطبعة الثالثة، 1993.
4. جابر أحمد عصفور، الصورة الحديثة في التراث النقدي والبلاغي.
5. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، الجزء الثاني، 1999.
6. جميل حمداوي، من البلاغة إلى الحجاج، مكتب التصفيف التقني، الدار البيضاء، 2004.
7. الحافظ أبي علي محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي، بشرع جامع الترميذي، الجزء الرابع، باب ما جاء في حق الزوجة على زوجها.
8. حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات، عام استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011.
9. ابن حجر فتح الباري، كتاب الإيمان، الجزء الأوّل.
10. ابن حجر فتح الباري، كتاب الطب، الجزء العاشر.
11. حسن المودن، حجاجية المجال والإستعارة، مقال في كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث، الجزء الثالث، ، الأردن، 2010.

12. حميد آدم الثويني، البلاغة العربية، المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
13. الرافعي أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير عن حجة رسولي، صور الكناية في الكلام النبوي الشريف، إضاءات نقدية، مجلة فضيلة، العدد 9، 2013.
14. السجستاني (أبو داود سليمان بن الأشعة الأزدي ، كتاب السنة، تحقيق محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، الجزء الأوّل، دط، دت.
15. السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ضبطه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1987.
16. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف للنشر، القاهرة، الطبعة الثامنة، د.ت.
17. عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع مقاربة نظرية تطبيقية، ، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، 2012.
18. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، علق عليه أبو فهر، ومحمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1991.
19. عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الإختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019.
20. عبد الله صولة، إشراف عمادي صمود، سلسلة آداب مج: 39، كلية الآداب، منونة. دت.
21. عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، سلسلة الآداب، كلية الآداب، منونة، دت.
22. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه، ، دار الفرابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2011.

23. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه، ، دار الفرابي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،2007.
24. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2011.
25. بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، 2008.
26. فاتح أحمد الحمداني، الصورة البيانية في الحديث النّبوي الشريف، مؤسسة الوراق، الطبعة الأولى، 2001.
27. القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة وضع حواشيه' إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2003.
28. كريستيان بلاتتان، الحجاج، ترجمة عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، د.ط، 2008.
29. محمد أحمد سحلول، من بلاغة الحديث النبوي، دار الإعتصام، الجزء الرابع، القاهرة، دط، دت.
30. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005.
31. محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي، يشرح جامع الترميذي، الجزء الخامس، 83دت.
32. محمد بيلو أبو بكر، من بلاغة السنّة، مطبعة أطلس، القاهرة، دط، 1979.
33. محمد الوالي ، الإستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ، منشورات دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2005.
34. محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، ومكتبة لبنان للنشر والتوزيع، الدار البيضاء،المغرب، الطبعة الأولى، 2005.
35. محمد ولد الأمين، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، المركز العلمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، ليبيا، الطبعة الأولى، 2004.

36. محمد الزوبعي وناصر حلاوي، البلاغة العربية، البيان والبديع، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1996.
37. مختصر صحيح مسلم، كتاب الإيمان.
38. ابن منظور لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003.
39. هدى وصفي، أحمد يحي، المقال الجدلي، مكتبة الآداب، القاهرة، طبعة الأولى، 2010.
40. أبو هلال الحسن بن عبد الله (العسكري)، الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق على محمد البجاوي، محمد أبو فضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، 2006 .

4) المجلات:

1. أحمد أبو زيد، الإستعارة عند المتكلمين، مجلة المناظرة، العدد الرابع، ماي 1991.
2. عبد القادر زروقي، الإستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت، قراءة في حجاجية الحذف في القرآن الكريم، مجلة فصل الخطاب، جامعة إبن خلدون، تيارت، المجلد الثاني، العدد السابع، سبتمبر 2014.
3. محمد العمري، البلاغة والحجاج أبلاغة الحجاج، مجلة عالم الفكر، المجلس العربي، وحدة الإنتاج في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد40، العدد الرابع، الكويت، 2012.
4. كمال الزماني، الحجاج في البلاغة الجديدة من خلال كتاب مصنف الحجاج لبيرلمان و تيتيكا، مجلة الدراسات الثقافية و اللغوية والفنية، برلين، ألمانيا، المجلد الثاني، العدد، 2020.

فهرس الموضوعات

العنوان	رقم الصفحة
شكر وتقدير	
إهداء	
مقدمة	أ-د
مدخل: العلاقة بين الحجاج والبلاغة	
تعريف البلاغة	7
تعريف الحجاج	10
العلاقة بين البلاغة والحجاج	12
الفصل الأول: نظرية الحجاج (المفاهيم والاتجاهات)	
1- مفهوم بالبلاغة الجديدة	16
1_1 فضاء نشأة الحجاج أو البلاغة الجديدة	16
2_1 نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان	19
2- اتجاهات الحجاج :	22
1_2 اللساني	22
2_2_ المنطقي أو الفلسفي	23
2_3_ البلاغي	25
3- أساليب الحجاج في التراث البلاغي العربي	26

1_ المثل	26
2_ الإستشهاد	27
3_ حجة النموذج و عكس النموذج	27
4_ حجة التمثيل	28
5_ حجة الشخص و أعماله	29
6_ حجة الاستعارة	29
7_ حجة الإتجاه	30
8_حجة التماثل والحد	30
9_ الحجج القائمة على العلاقة التبادلية و على قاعدة العدل	30
الفصل الثاني: حجاجية الأساليب البلاغية (البيانية والبديعية) في الأحاديث النبوية الشريفة	
حجاجية الصور البيانية	33
دراسة تحليلية من الحديث النبوي الشريف	33
1- التشبيه وحجاجيته	34
2- أنواع التشبيه	36
أ التشبيه المرسل وحجاجيته	36
ب. التشبيه المؤكد وحجاجيتهُ	37
ج. التشبيه المجمل وحجاجيتهُ	38

د.التشبيه المفصل وحجاجيتهُ	39
ه- التشبيه البليغ وحجاجيته	40
و-لتشبيه الضمني وحجاجيته	41
ز-التشبيه التمثيل وحجاجيته	42
3- المجاز وحجاجيته	43
4- الاستعارة وحجاجتتها	46
أ- الإستعارة التصريحية وحجاجيتها	47
ب- الإستعارة المكنية وحجاجيتها	49
5- الكناية وحجاجيتها	52
خاتمة	57
قائمة المصادر والمراجع	60
فهرس الموضوعات	65